الحضور المصري مكانًا
في الخطاب القرآني المجيد

إعداد

الأستاذ الدكتور

صبري فوزي أبو حسين

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

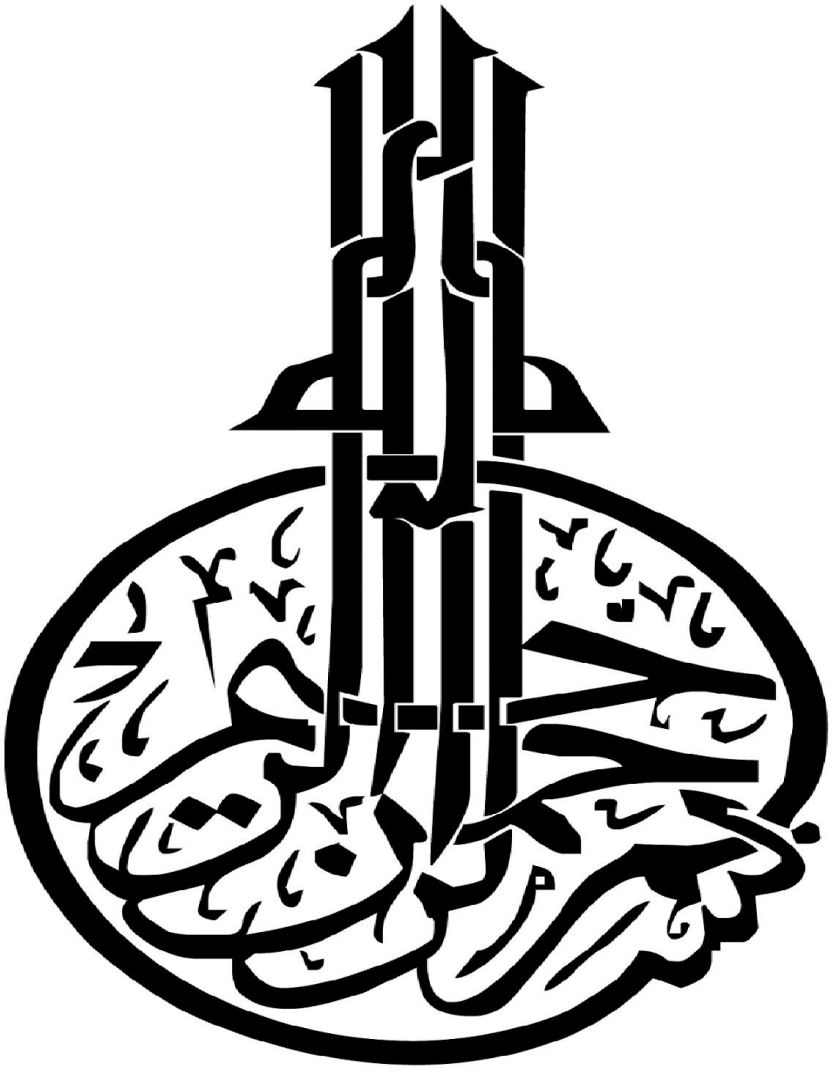

الحضور المصري مكانًا في الخطاب القرآني المجيد

صبري فوزي عبدالله أبوحسين

القسم: الأدب والنقد، الكلية: الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات، الجامعة: الأزهر، المدينة: مينة السادات، الدولة: جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:sabrymhamed@Azhar. edu.eg

ملخص البحث: يحاول هذا البحث أن يقدم أدلة على ذلك من خلال مقاربة الخطاب القرآني الكريم، في الحديث عن مصرنا: مكانًا واسمًا، ونيلاً؛ فقد كتب الله –عز وجل– لمصرنا التفرد بالكرم وعظم المنزلة؛ فذكرت باسمها، أو أشير إليها، أو ذُكِر مكانٌ منها أو أشير إليه، وخصّت دون غيرها بتكرار هذا الذكر، وهذه الإشارة، وبتبيين فضلها وأحوالها، وأحوال الأنبياء بها، والأمم الخالية، والملوك الماضية، والآثار البيّنات فيها، عن طريق خطاب سردي أو وعظي في مجمله، خطاب ماتع وافٍ كاشف، وهو مفصل في تسع سور قرآنية كريمة، هي(البقرة، المائدة، الأعراف، يونس، يوسف، الإسراء، الشعراء، القصص، العنكبوت). وقد استعان الباحث في إنجاز هذا البحث بمنهج تحليل الخطاب، وقد جاء البحث من تمهيد وخمسة مباحث. جاء التمهيد عن (منهج تحليل الخطاب القرآني)، وجاء المبحث الأول عن(مصر في الشعر الجاهلي والمعجم العربي)، وجاء المبحث الثاني عن (مصر مكانًا عامًّا في الخطاب القرآني)، وجاء المبحث الثالث عن (مصر مكانًا جزئيًّا في الخطاب القرآني)، وجاء المبحث الرابع عن (مصر نِيلاً في الخطاب القرآني)، وجاء المبحث الخامس عن (أنماط الخطاب القرآني عن المكان المصري)، ثم كانت (خاتمة) للبحث أجملت ما فُصِّل فيه، وعددت ما فيه من جديد. وقد خصصت نهر النيل بمبحث مع أن النيل مكان جزئي! لأن النيل– بحول الله تعالى الله وقدرته– سبب حياة المكان وحيويته وحركة الإنسان فيه، ولأنه حاضر حضورًا بارزًا ومميزًا ومتنوعًا أكثر وأعمق من بقية الأماكن المصرية، في الخطاب القرآني المجيد!

الكلمات المفتاحية: الحضور–المصري– الخطاب –القرآن.

The Egyptian presence has a place in the Glorious Qur'anic discourse

Sabri Fawzy Abdullah Abu Hussein

Department: Literature and Criticism, College: Islamic and Arabic Studies for Girls, Sadat City, University: Al-Azhar, City: Al-Sadat, Country: Arab Republic of Egypt.

Email: edu.eg.sabrymhamed@Azhar.edu.eg

Research Summary:

The research attempts to provide evidence for this by approaching the Holy Qur'anic discourse, in talking about our Egypt: a place, a name, and a Nile. God - Almighty - has written for our country Egypt to be unique in generosity and greatness of rank. So it is mentioned by its name, or a reference was made to it, or a place in it is mentioned or is referred to. Also it is singled out exclusively by the repeating its mention and reference through explaining its merits, conditions, and the conditions of the prophets with regard to it, the previous nations, the previous kings, and the clear traces of it, through a narrative or exhorted discourse in general. That is, indeed, an adequate and revealing speech, which is detailed in nine Holy Quranic Chapters, which are: (Al- Baqarah, Al-Maidah, Al-Araaf, Yunus, Yousuf, Al-Isra, Ash-Shuara, Al-Qasas, Al-Ankabut).

To complete this research, the researcher used the discourse analysis method. The research consists of a preface and five chapters. The preface deals with: (Approach of the Quranic Discourse Analysis). The first topic tackles: (Egypt in Pre-Islamic Poetry and the Arabic Lexicon), the second topic is about: (Egypt as a General Place in the Qur'anic Discourse), and the third topic is about: (Egypt as a Partial Place in the Quranic Discourse), and The fourth topic is about (Egypt and the Nile in the Qur'anic discourse), and the fifth topic is about (patterns of Quranic discourse about the Egyptian position). Then came out the conclusion of the research which outlined what has been detailed previously, and enumerated briefly what has been included in it again. The Nile River has been dedicated in a separate topic even though the Nile is a partial place! Because the Nile - by and power of God Almighty - is the reason for the life of the country, its vitality and the movements of man in it, and because it is existed as a prominent, distinctive and diverse presence more and deeper than the rest of the Egyptian places, in the Glorious Qur'anic discourse!

Keywords: attendance -the Egyptian -the discourse -the Qur'an.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله، وعلى أشرف المرسلين وخاتمهم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن المعلوم إسلاميًّا أن لله في خلقه سننًا لا تتبدل، وله في كونه نواميسَ لا تتحول، وأن الله –تعالى– يخلق ما يشاء ويختار، وأنه –عز وجل –قد اختار من ذلك ما شاء من البشر والأمكنة والأزمنة؛ ففضل بعضها على بعض: فضَّل بعض النَّاس على بعض: كسيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم–على سائر الخلق، وفضَّل بعض الشُّهور على بعض كشهر رمضان على سائر الشهور، وفضَّل بعض الأيَّام على بعض كيوم الجمعة على سائر الأيام، وفضَّل بعض اللَّيالي على بعض كليلة القدر على سائر الليالي. وكما فضَّل بعض الأزمنة على بعض فضَّل بعض الأمكنة على بعض، ومن هذه الأمكنة التي فضلها الله على سائر الأماكن :المساجد، فهي أحب البقاع إلى الله؛ ففضل مكة المكرمة بالكعبة المعظمة، وفضل المدينة المنورة بالمسجد النبوي، وفضَّل القدس الشريف بالمسجد الأقصى؛ ومن ذلك –أيضًا– أنه –عز وجل– سجل لمصرنا فضلًا وكرامة في كتابه الكريم وسنة رسوله العظيم بذكرها صراحة، أو الإشارة إليها أو إلى أماكن فيها ضمنًا، في سياقات سردية كثيرة متنوعة دلالة وإيحاءً، وذكر بقاع طيبة فيها كسيناء والطور والوادي المقدس طوًى. وقد تحدث المتحدثون قبلي حديثًا عامًّا عن تلك المكانة الدينية لمصرنا، كما في كتاب **(مصر في القرآن والسنة)** للدكتور أحمد عبدالحميد يوسف، وكتاب **(مصر في القرآن والسنة)** للدكتور عبدالعزيز الشناوي، كما جاء الحديث عن مصر حديثًا بلاغيًّا وحضاريًّا مُعمَّقًا كما في كتاب **(من حديث يوسف وموسى في الذكر**

الحكيم) للعلامة الدكتور محمد أبو موسى، وكتاب **(مصر في القرآن الكريم: دراسة في أسرار البيان)** للدكتور عبدالله سرحان، وكتاب **(مصر في القرآن)**، للدكتور محسن الشاذلي.

وكلها جهود طيبة مباركة، ينحو بعضها المنحى التاريخي الخالص، وبعضها ينحو المنحى التذوقي، ولم يدرس أحد من قبل **(المكان المصري في الخطاب القرآني)** دراسة إحصائية مفصلة في مرآة منهج تحليل الخطاب.

ومن ثم كان هذا البحث: **(الحضور المصري مكانًا في الخطاب القرآني المجيد)** الذي يحاول أن يقدم أدلة على ذلك من خلال مقاربة الخطاب القرآني الكريم، في الحديث عن مصرنا: مكانًا واسمًا، ونيلاً؛ فقد كتب الله – عز وجل– لمصرنا التفرد بالكرم وعظم المنزلة؛ فذكرت باسمها، أو أشير إليها، أو ذُكِر مكانٌ منها أو أشير إليه، وخصّت دون غيرها بتكرار هذا الذكر، وهذه الإشارة، وبتبيين فضلها وأحوالها، وأحوال الأنبياء بها، والأمم الخالية، والملوك الماضية، والآثار البيّنات فيها، عن طريق خطاب سردي أو وعظي في مجمله، خطاب ماتع وافٍ كاشف، وهو مفصل في تسع سور قرآنية كريمة، **هي: (البقرة، المائدة، الأعراف، يونس، يوسف، الإسراء، الشعراء، القصص، العنكبوت)**.

وهذا ما جعل مصرنا حاضرة–مكانًا وإنسانًا– في فجر الإسلام، في الخطاب النبوي الشريف، وفي الخطاب الديني الصحابي الراشد في عصر صدر الإسلام، زمن الخلفاء الراشدين–رضي الله عنهم أجمعين– وفي الخطاب الأدبي نثرًا وشعرًا عبر الأعصار والأجيال التي مرت وتمر بها أمتنا. وهو حضور بارز فاعل متنوع مثير دالٌّ. وهذا ما أهدف إلى تَبَيُّنه وتسليط الضوء عليه، بطريقة ذاتية خاصة، قدر الطاقة والإمكان، تعتمد

المأثور في فهم الخطاب القرآني الكريم نصًّا وسياقًا، وتحليله، خلال هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

ومن المعروف أن الوطنية هي تعلق الإنسان بالأرض التي يعيش عليها، بحيث يفضلها على غيرها من البلدان، ويدافع عنها ضد الأعداء أو المغتصبين أو المستكبرين؛ فقد «عمّر الله البلدان بحبّ الأوطان»، وقديمًا قالوا: "لولا حبُّ الأوطانِ لخربتِ البُلدان"! وليست هذه النزعة الفكرية بنت اليوم أو وليدة العصر الحديث، كلا إنها موجودة منذ القدم، وليست بغيضة أو ممقوتة، بل هي شعور فطري لا ترفضه الأديان أو العقول المنصفة. بل إنني لأقول موقنًا من خلال هذا البحث: لا يحب مصر إلا مؤمن، ولا يحب أهلها ويقدم إليهم الخير إلا مؤمن!

وليس هذا من باب التقديس، ولكن إنما هو من باب التشرُّف بالمكان الذي هو الوطن الآمن، والتبرك بالخطاب القرآني الذي هو المصدر الديني الثابت الهادي، والمُؤمِّن والمُهدي.

وقد تكون هذا البحث من تمهيد وخمسة مباحث علمية أساسية، وخاتمة، هي:

التمهيد: منهج تحليل الخطاب القرآني.

المبحث الأول: مصر في الشعر الجاهلي والمعجم العربي.

المبحث الثاني: مصر مكانًا عامًّا في الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: مصر مكانًا جزئيًّا في الخطاب القرآني.

المبحث الرابع: مصر نِيلاً في الخطاب القرآني.

المبحث الخامس: أنماط الخطاب القرآني عن المكان المصري.

ثم كانت **(خاتمة)** للبحث أجملت ما فُصِّل فيه، وعددت ما فيه من جديد. وقد خصصت نهر النيل بمبحث مع أن النيل مكان جزئي! لأن النيل–بحول الله تعالى الله وقدرته– سبب حياة المكان وحيويته وحركة الإنسان فيه، ولأنه

حاضر حضورًا بارزًا ومميزًا ومتنوعًا أكثر وأعمق من بقية الأماكن المصرية، في الخطاب القرآني المجيد!.

وأتغيَّا -بإذن الله تعالى وتوفيقه- إنجاز سلسلة بحثية في هذا المجال الفكري؛ لتبيين **(النماذج البشرية المصرية في القرآن الكريم)**، و**(مصر مكانًا وإنسانًا في الخطاب النبوي الشريف)**، و**(الحضور المصري في الخطاب الأدبي العربي القديم)**: في مجاميع الأدب، ودواوين الشعر، وكتب البلدان والتاريخ والسير، وفي **رحلة ابن بطوطة** (ت٧٧٩هـ)، وفي **موسوعة صبح الأعشى للقلقشندي** (ت٨٢١هـ)، وفي كتاب **رحلة الشتاء والصيف للأديب العثماني محمد كبريت** (ت١٠٧٠هـ)، وفي كتاب **نفحة الريحانة للمحبي** (ت١١١١هـ)، وغيرها. ثم يكون -إن شاء الله تعالى- تبيين **(الحضور المصري في الخطاب الأدب العربي الحديث والمعاصر)**.

والمنهج المتبع في هذه المقالات وصفي تحليلي: يجمع مادة الخطاب، ويوثقها، ويصنفها، ويحللها، انطلاقًا من التفاسير المعتبرة عند أهل العلم قديمًا وحديثًا؛ ليتم رصد ما فيها من دلالات حضارية بما يظهر قوة مصر الناعمة الجاذبة الغازية، في كل زمان ومكان، وفي كل حال ومقام ومجال، وتخصص، عبر الأعصار والأجيال والأعراق؛ وذلك بغية بث الأمل، وغرس الطموح والإقدام، ونشر الثقة في أن الماضي خير، وأن القادم خير بإذن الله تعالى وتوفيقه.

وأقدم خالص شكري إلى كل من تفضل علي بقراءة هذا البحث في مدونته التمهيدية الأولى، وأوقفني على بعض الملحوظات وطالبني ببعض الإضافات البناءة، وهم: أستاذي الدكتور كاظم الظواهري، وأستاذي الدكتور محمد فكري الجزار، وأستاذي الدكتور سعيد جمعة، والأستاذ الدكتور إبراهيم راشد، والدكتور عادل الفقي، والدكتور عبدالعظيم عبدالرؤوف، والدكتور محسن الشاذلي، حفظهم الله جميعًا، وبارك كل سعيهم وجهدهم.

التمهيد: (منهج تحليل الخطاب القرآني)

مصطلح الخطاب (discourse) لفظ مشتق من الأصل اللاتيني (**Discoursus** أو **Discourer**)، وتعنى في اللاتينية الحوار.

ولفظ (الخطاب) في اللغة العربية: مصدر قياسي للفعل(خاطب): يقال خاطَبَهُ، بالكلام يُخَاطِبُهُ مخاطبة وخِطابًا، أي شافهه وحاوره، وهما يتخاطبان، و(فَصْلُ الخِطاب): أي خِطابٌ لا يكونُ فيه اخْتِصارٌ مُخلٌّ ولا إسْهَابٌ مُمِلٌّ. و(**الخطاب**) عند الخليل(ت١٧٠هـ): مراجعة الكلام[١]، وهو عند الزمخشري(ت٥٣٨هـ): المواجهة بالكلام[٢].

و(**الخطاب**) مشتق من الجذر اللغوي(خَ/طَ/بَ)، الذي تدور مشتقاته حول دلالة كلية حددها ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة بقوله: "الخاء والطاء والباء أصلان، أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابًا، والخُطبة من ذلك، وفي النكاح الطلب أن يزوج...والخِطبة: الكلامُ المخطوبُ به. والخَطْب: الأمر يقع، وإنما سُمِّي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة... وأما الأصل الآخر فاختلاف لونين[٣]"، وهاتان الدلالتان لهما صلة بالمفهوم الاصطلاحي النقدي؛ **فما (الخطاب) اصطلاحًا عند القدامى والمحدثين إلا كلام يقع به التواصل بين اثنين(متكلم ومخاطب) أو أكثر، يكون النص فيه رسالة مشفرة عبر وسيطها المكتوب أو الشفوي، حيث فيه حوار ومراجعة، وتنوع، وتبادل رؤى وأفكار، وهذا ما يسمى فاعلية تواصلية، يتحدد شكلها بواسطة غاية أو حالة اجتماعية.**

---

(١) العين(خ/ط/ب) ٢٢٢/٤، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، طبع مؤسسة الأعلمي سنة ١٩٨٨م. ولسان العرب لابن منظور(خ/ط/ب).

(٢) أساس البلاغة(خ/ط/ب)،٢٣٨/١، طبع الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م..

(٣) معجم مقاييس اللغة(خ/ط/ب)٣٦٨/٢.

و(**الخطاب**) في التراث العربي من اصطلاحات الأصوليين[١]، ويقصد به: " اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[٢]؛ فالكلام الذي لا يقصد به إفهام المتلقي، عبر عملية تبادل الطرفين رسائل لغوية أو معرفية، لا يسمى خطابًا.

ف(**الخطاب**) في معاجم العربية: المكالمة أو الحديث أو اللغة المستخدمة بين اثنين أي لغة التفاعل، وهو ما يكلم به الرجل صاحبه، وهو الكلام بين اثنين بوساطة شَفَهية أو مَكْتُوبة أو مَرْئِيَة، والخِطَابُ: الرِّسَالةُ، وهو ممّا أقرّه مَجْمعُ اللغة العربية بالقاهرة[٣]؛ إنه الكلام الذي يقع به التواصل بين متخاطبين أو أكثر، سواء كان شفويًّا أو مكتوبًا.

وانتقل مصطلح (الخطاب Discourse) إلى ساحتنا الثقافية العربيّة، وافدًا من الثقافة الغربية، مصحوبًا بفروق عدة في الفهم والتعريف من دارس إلى آخر، فبينما يقصره بعض الباحثين على أساليب الكلام والمحادثة، يوسعه بعضهم ليجعله مرادفًا للنظام الاجتماعي برمته! وقد ظهر مصطلح (**الخطاب**) في حقل الدراسات اللسانية عند العرب، و نما و تطور في ظل التفاعلات التي عرفتها هذه الدراسات؛ونظرًا لتعدد مدارس الدراسات اللسانية

---

(١) راجع القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين ص١٥٣-١٥٤، محمود جامع عثمان، طبع الرياض.

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٦٥٨، تح/عدنان درويش، ومحمد المصري، طبع دار الرسالة ببيروت سنة ١٩٩٨م. وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (ت نحو١١٥٨هـ)٢/٥-٧. طبع دار الكتب العلمية ببيروت.

(٣) المعجم الوسيط(خ/ط/ب)١/٢٥١.

الحديثة وتنوع اتجاهاتها؛ فقد تعددت مفاهيم مصطلح (الخطاب)[١].

ويعد اللساني الأمريكي زليغ هاريس*Zellig* Harris **(ت١٩٥٢م) مبتكر مصطلح (الخطاب) بمفهومه اللساني والنقدي المعاصر**، وقد عرفه بقوله: " ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض[٢]". و**(الخطاب)**– عند اللساني السيميائي الفرنسي إيميل بنيفينست (Benvenist) (ت١٩٧٦م)–هو "كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا، بحيث يحاول المتكلم التأثير على المستمع بطريقة ما[٣]"، ويعرفه الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو(Mechal Fouco) ت١٩٨٤م) بأنه "النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها، وبنيتها المنطقية، أو تنظيمها البنائي[٤]".

ويوضح الأمريكي "زيليغ هاريسZellig Harris (ت١٩٩٢م)" في كتابه "تحليل الخطاب"– مفهوم الخطاب بأنه هو "منهج في البحث في أيما مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئا شبيها باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، إنها بنية شاملة

---

(١) سيميائية الخطاب السردي العماني، د/محمد سيف الإسلام بوفلاقة، ص١٦، على موقع صحيفة رأي اليومhttps://www.raialyoum.com/index.php/%D8، **وراجع مقال: "في الخطاب وتحليل الخطاب" لعبدالرحيم الخلادي في جريدة الحوار المتمدن ١٨/٤/٢٠١٠م، على الرابط:**
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212025&r=0

(٢) تحليل الخطاب الروائي: الزمن السرد التبئير، سعيد يقطين ص١٧، المركز الثقافي العربي ببيروت سنة ١٩٨٩م..

(٣) تحليل الخطاب الروائي، ص١٩.

(٤) الخطاب الدعائي الأمريكي إزاء الشرق الأوسط: دراسة تحليلية، د/ ولاء محمد علي حسين الربيعي، ص ٣٣، طبع سنة ٢٠١٦م..

تشخص الخطاب في جملته".. أو أجزاء كبيرة منه[١] "، فلابد في الخطاب من عنصري التواصل:الباث(المتكلم) والمبثوث إليه(المستمع). ويعرفه المفكر الفرنسي تزفيتان تودروف- (Todrouf) (ت٢٠١٧م)- بأنه "أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما[٢]". **و (الخطاب)**- في مفهومه الجديد- هو النص ومحمولاته الفكرية أو الأيديولوجية أو الجمالية بحيث لا يمكن الفصل بين المركز (النص) والأطراف (المحمولات)[٣]. وتحليله يقوم على النظر في كل عناصره؛ لنقله من المجهول إلى المعلوم، وله طرائق عديدة متنوعة!

ومن خلال العرض السابق لمصطلح البحث الرئيس**(تحليل الخطاب)** يمكنني أن أتبنى تصورًا خاصًّا له، في المفهوم الآتي:

قدرة قارئ الخطاب على الشرح والتفسير والتأويل، والعمل على جعل الخطاب الشكلي واضحًا جليًّا، من خلال عملية تقسيمه إلى أجزاء صغيرة، حيث الوحدات اللغوية لخطاب ما مكتوبًا كان أو منطوقًا، في مستوى أعلى من مستوى الجملة أو الملفوظ المفرد، بقصد تحديد العلائق الموجودة بينها تحديدًا شكليًّا، ومن أجل الحصول على فهم للخطاب واستيعاب أفضل له، واستنطاق خصائصه الفنية ودلائله الحضارية. والسياق جزء

---

(١) مقدمة في نظرية الخطاب ديان ماكدونيل، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية ص٣٠، سنة ٢٠٠١م..

(٢) تحليل لغة الخبر السياسي في الخطاب الإعلامي المعاصر، رامي عزمي يونس، ص٣٠، دار المعتز بالأردن سنة ٢٠١٢م.

(٣) مقال "مصطلحات قلقة بين التأصيل والتوصيل"، للدكتور عبدالإله الصائغ، مقال منشور في صحيفة المثقف، على الرابط:

http://www.almothaqaf.com/readings-1/898457

أساس من عملية تحليل الخطاب[١]، وذلك عن طريق تحليل وحداته اللغوية منطوقة أو مكتوبة في ضوء قرائنه اللغوية والمقامية والعقلية؛ للتعرف على بعض مضمونه وبعض مقاصده.

ويلاحظ في مدونات التعريف بمنهج تحليل الخطاب أن إجراءات هذا التحليل وطرقه تتعدد بين الدارسين محليًّا وعالميًّا، وكأننا نعود مرة ثانية إلى ما كان يسمى المنهج التكاملي، ومن ثم فالخطاب قابل لغير قراءة، وبغير وسيلة! **ونظرًا لكثرة الإجراءات وتنوعها عند الدارسين وضبابيتها عند بعضهم وعدم صلاحيتها للتطبيق على آي القرآن الكريم، فإنه من الصعب إخضاع المادة الخطابية لتحديد تام مستوفًى، وإجراءات متفق عليها، ومن ثم سألجأ، في بحثي هذا، إلى انتخاب ما يناسب جلال الخطاب القرآني** وإعجازه، وسيكون الانطلاق في تحليل الخطاب القرآني الكريم عن طريق المصطلحين الأصوليين: (دلالة المنطوق) حيث المعنى المستفاد من صريح اللفظ، و(دلالة المفهوم) حيث المعنى اللازم للفظ ولم يصرح به[٢]، مع مراعاة السياق القرآني الوارد فيه الخطاب.

---

(١) الخطاب الإعلامي العربي، ص٣٩.، مقال الكاتب على بن شويل القرني، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الأول، يناير ١٩٩٧م..

(٢) راجع في مفهوم هذين المصطلحين: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، ص٣٧٤، عياض السلمي، طبع الرياض سنة ١٤٢٦هـ.

المبحث الأول

مصر في الشعر الجاهلي والمعجم العربي

قبل الدخول إلى تفاصيل الحضور المصري في الخطاب القرآني الكريم، والخطاب النبوي الشريف ينبغي لنا أن نعيش مع هذا الحضور فيما قبل هذين الخطابين المقدسين: في اللسان العربي شعرًا ومعجمًا، عند الجاهليين والإسلاميين الأوائل، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: لفظة مصر في الشعر الجاهلي:

لاريب في أن مصرنا–حفظها الله– حاضرة– مكانًا وإنسانًا، ومجتمعًا وتاريخًا– منذ كانت الحضارات والثقافات ومنذ كانت الكتابة وكان التدوين، وقد شرفت بحضورها في الخطاب القرآني الكريم، وفي الخطاب النبوي الشريف، منذ فجر الإسلام، وظل هذا الحضور في الخطاب الإسلامي عبر الأعصار والأجيال التي مرت –وتمر بها– أمتنا، حفظها الله تعالى! كما حضرت (مصر) في مدونات الأدب العربي: قديمه ووسيطه وحديثه ومعاصره، حضورًا متنوعًا بين مصر اللفظ، ومصر المضمون: جغرافيًّا وتاريخيًّا واجتماعيًّا، و مصر المبدعة، وهو حضور بارز فاعل مثير دالٌّ:

ولمْ أرَ مِصْرًا مثلَ مِصْرَ تروقُني ∴ ولا مثلَ ما فيها من العَيْش والخَفْضِ!

نعم: حضرت مصر لفظةً، وحضرت مصر مضمونًا، وحضرت مصر مبدعة في الأدب العربي، وأقف في هذا البحث على دلائل حضورها لفظيًّا في الشعر الجاهلي، كما في **قول سلامة بن جندل(ت ٦٠٠م)** يصف سحابة جاءت من نحو مصر:

ومَجَـرٌ سـارِيةٍ تَجُـرُّ ذُيولَهـا ∴ نـوسَ النعـامِ، تنـاطُ بالأعنـاقِ

مِصريَّةٍ، نَكباءَ أعرَضَ شَيمُها ∴ بأشـــابةٍ، فـــزرودَ، فـــالأفلاقِ[١]

فوصف السحابة بالمصرية دال على أن مصر كانت معروفة جغرافيًّا لدى العرب! وينتقل الأعشى(ت٧هـ) بالخطاب إلى نيل مصر الخالد، في قوله يمدح إياس بن قبيصة الطائي– أحد أشراف ووجهاء طيء، وأشهر فصحائها وشجعانها في الجاهلية وأحد الملوك المناذرة– موازنًا بينه وبين نيلنا في العطاء:

فما نيلُ مصرٍ إذْ تسامى عبابُهُ ∴ ولا بحـــرُ بانقيـــا إذا راحَ مفعمـــا

بـأجودَ منـه نـائلاً إنَّ بعضَـهم ∴ إذا سُئل المعروفَ صدَّ وجمجما[٢]

ويأتي النيل مشبهًا به في خطاب شعري قصصي للشاعر الجاهلي أعشى باهلة[٣]، إذ يروي الرواة أنه نزل رجل من العرب بامرأة من باهلة، وليس عندها زوجها، فأكرمته وفرشته، فلما لم ير عندها أحداً سامها نفسها،

---

(١) ديوان سلامة بن جندل ص١٨، المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٠م، ونسخة بتحقيق د/فخر الدين قباوة، طبع المكتبة العربية بحلب سنة ١٩٦٨م. سارية: سحابة تأتي ليلا، والجمع سوار، وغادية: تأتي بالغداة، ورائحة تأتي عشيًّا، ذيولها: مآخيرها، قال: يكون للسحابة المرتفعة أخرى دونها فذلك ذيلها، والنوط: التعليق، وتناط: تعلق. وقال السحابة: تشبه بالنعام، والمنوط: المعلق في استرخاء، ومصرية نعت للسارية، ونكباء: منحرفة وقعت بين الدبور والشمال، وأعرض شيمها: تمكن مطرها عرض أشابة فزرود فالأفلاق، أي هطل غزيرًا حتى تمكن من تربتها.

(٢) ديوان الأعشى ص٣٤٦–٣٤٧، تح د.محمد محمد حسين، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٣م. وبانقيا ناحية من نواحي الكوفة، كانت على شاطئ الفرات فالمقصود به نهر الفرات.

(٣) شاعر جاهلي من أبناء القرن السادس الميلادي، وهو أبو قحفان عامر بن الحَرث بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن. شاعر جاهلي مجيد ، لم ينسبه أبو عبد الله المرزباني. وهو أحد بني عامر بن عوف بن وائل بن معن ، ومعن أبو *باهلة* ، و*باهلة* امرأة من همدان. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي، د.عفيف عبدالرحمن، ص٢٢، ١٤٢، ٢١١. طبع دار المناهل سنة ١٩٩٦م.

فلما خشيته قالت له: امكث، أستصلح لك، ثم راحت فأخذت مديةً، فأخفتها ثم أقبلت إليه، فلما رآها ثار إليها فضربت بها في نحره، فلما رأت الدم سقطت مغشياً عليها، وسقط هو ميتا، فأتاها آتٍ من أهلها فوجدها على تلك الحال، فأجلسها حتى أفاقت، فقال أعشى باهلة في ذلك:

لَعَمرِي لَقد حَفّتْ معَاذَةُ ضَيفَها ∴ وَسَوّتْ عَلَيْهِ مَهْدَهُ ثمّ بَرّتِ

فَلَمّا بَغَاهَا نَفسَهَا غَضِبَتْ لهَا ∴ عرُوقٌ نمَتْ وَسطَ الثرَى فاستَقرّتِ

وَشدّتْ على ذي مديَةِ الكَفّ مِعصَمًا ∴ وَضِيئاً وَعَرّتُ نَفسَها فاستَمَرّتِ

فأمّتْ بها في نحرِهِ وَهوَ يَبتَغي الـ ∴ ـنّكَاحَ فَمَرّتْ في حَشَاهُ وَجَرّتِ

فَشُجَّ كأنّ النيلَ في جَوْفِ صَدْرِهِ ∴ وَأدْرَكَهَا ضُعْفُ النّسَاءِ فخَرّتِ[1]

وبيّنٌ من هذه الخطابات الشعرية الجاهلية الثلاثة أن مصر ونيلها حاضران في العقلية العربية الأولى حضورًا مميزًا، وأن مصر مرادفة للرقي والتحضر والتمدن، وأن نيل مصر رمز لكل عطاء وخير وفيض وكثرة!

واستمر الحضور المصري لفظيًّا في الخطاب الشعري في صدر الإسلام والعصر الأموي، عند سيدنا معاوية، وسيدنا عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، وعند كبار الشعراء الأمويين، أمثال الأخطل، وجرير، وكثير عزة، والطرماح. ومن نماذج ذلك الحضور قول عتبة بن أبي سفيان مخاطبًا سيدنا معاوية–رضي الله عنه– وطالبًا إمارة مصر لسيدنا عمرو بن العاص–رضي الله عنه–:

---

(١) مصارع العشاق لجعفر البغدادي(ت٥٠٠هـ) ٦٩/١، دار القلم، بيروت، لبنان سنة ٢٠٢٠م. حفت: أحاطت بالكرم. معاذة: اسم امرأة. برت: أطاعت. بغاها نفسها: أراد روادها عن نفسها. العروق: الأصل الكريم. استقرت: ثبتت. ذي مدية الكف: السكين الذي يمسك باليد. استمرت: ثبتت على حالة واحدة. أمت: قصدت. جرت: جذبت، يريد أنها طعنته في نحره وأخرجت السكين منه. ثج: تدفق بالدم. خرت: سقطت مغشيًّا عليها.

أيها المانع سيفا لم يهز ∴ إنما ملت على خز وقَزْ

أعطه مصرًا وزده مثلَها ∴ إنما مصرُ لمَنْ عَزَّ وبَزْ

واترك الحرص عليها ضلَّةً ∴ واشبب النار لمقرور يكزْ

إنَّ مصرًا لعَلِيٍّ أو لنا ∴ يُغلَبُ اليومَ عليها مَن عجزْ[١]

ومن أجمل نماذج هذا الحضور ما أنشده الرواة والمؤرخون لكعب بن مشهور المخبلي من جليحة خثعم(حجازي إسلامي)، صاحب ميلاء، وتغرب بمصر فاشتاق، فقال:

نظرتُ ومن مصر قصورٌ كأنها ∴ إذا غُلِّقَت دُوني أنُوفُ رِعانِ

بمقلة بازٍ أشكل الرّيس واقعٍ ∴ عَشِيَّةَ ساري رَهمةٍ ودِجَانِ

إلى ضوء نارٍ بالحبونن والصفا ∴ تُشَبُّ ودوني من هُلُولِ مِتانِ[٢]

وقول مجنون ليلى متغزلاً:

يقولون: ليلى بالعراق مريضة ∴ فأقبلت من مصر إليها أعودها

فو الله ما أدري إذا أنا جئتها ∴ أَأُبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أمْ أزِيدُهَا[٣]

ويأتي نهر النيل دالاً على الجود والعطاء في قول الطرماح(١٢٥هـ) مادحًا:

ومَا نِيلُ مِصْرَ قُبَيْلَ الشَّفَى ∴ إذا نفحَتْ ريحُهُ النَّافحَةْ

وراح تأجج أمواجه ∴ وتطفح أثباجه الطافحةْ

بَأَجْودَ مِنْكَ، ولاَ مُدْجِنٌ ∴ تدلت غياطله الدالحةْ[٤]

---

(١) وقعة صفين لابن مزاحم تح/عبدالسلام هارون، طبع المؤسسة العربية الحديثة١٣٨٢.

(٢) مصارع العشاق لجعفر البغدادي ت٥٠٠١/٨١، طبع دار صادر بيروت.

(٣) ديوانه ص٨٧، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤١٧/٣.

(٤) ديوان الطرماح ص ٨٧، والبيت الأول في اللسان والتهذيب وتاج العروس (ش/ف/ى). وقبيل الشفى: قبيل غروب الشمس، تأجج: تتلاطم وتهدر، وأثباجه: واحدها ثبج وهو معظم ماء البحر وموضع كثرته، والغياطل: السحائب المتراكمة، واحدها غيطلة. و(الدالحة) من السحاب: المثقلة بالماء.

وهكذا ظل الحضور لمصرنا ونهرها العظيم لفظيًّا في أشعار القدماء من الجاهليين والإسلاميين حتى عهد بشار(ت١٨٦هـ)، ودعبل بن علي الخزاعي(ت٢٢٢هـ)، وأبي تمام (ت٢٣١هـ) وابن الرومي(ت٢٨٣هـ)... وغيرهم من أوائل الشعراء العباسيين، ثم صار الحضور المصري في الشعر العباسي حضورًا كليًّا بدءًا بأبي نواس (ت١٩٨هـ)، ثم المتنبي(ت٣٥٤هـ)، ثم أبي العلاء المعري(ت٤٤٩هـ)، ثم ابن سناء الملك(ت٦٠٨هـ)، وختامًا بالبهاء زهير(ت٦٥٦هـ)، ثم كان هذا الحضور أكثر تفصيلا وتأثيرًا عند شعراء عصر الدول والإمارات المتتابعة، فكان حضور مصر عند كبار الشعراء حينئذ متنوعًا لفظًا ومعنًى، وانتقل من دلالة اللفظ المنطوق، إلى دلالة المعاني المفهومة، ثم إلى الدلالة الكلية (مصر مضمونًا، ومصر فكرة، مصر موقفًا، مصر رمزًا)وهذا ما سأخصه ببحث مستقل، إن شاء الله.

ثانيًا: مصر في المعجم العربي:

حضرت لفظة(مِصْر) في معاجمنا العربية القديمة والحديثة، منذ معجم العين للخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ) ومرورًا بمعاجم العصور الوسطى: القاموس واللسان والتاج، وانتهاءً بمعاجم العصر الحديث مثل ذخائر مجمع اللغة العربية بالقاهرة... وغيرها، وهو حضور بارز متنوع في أفكاره: مكانًا وإنسانًا، وتاريخًا وحضارةً وآثارًا، على النحو الآتي:

فلفظة (مصر)من الجذر اللغوي (م/ص/ر)، الذي بيَّن العلامة ابن فارس(ت٣٩٥هـ) دلالاته الأساسية في معجمه الفذ مقاييس اللغة بقوله: "الميم والصاد والراء أصلٌ صحيح له ثلاثة معان. الأوّل جنسٌ من الحَلْب، والثاني تحديدٌ في شيء، والثالث عُضوٌ من الأعضاء[1]".

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٢٩/٥.

فالمعنى الأوّل: المَصْر: الحَلْب بأطراف الأصابع،.." ومنه يؤخذ معنى العطاء الذي تعرف به مصرنا دينيًّا وتاريخيًّا؛ فهي خزانة الله في الأرض، وهي كنانة الله تعالى.

والمعنى الثاني: المِصْر، وهو الحدُّ؛ يقال إنَّ أهل هَجَرَ يكتُبون في شُروطهم: "اشترى فلانٌ الدَّارَ بمُصورها"، أي حدودها، وكذا أهل مصر كما في اللسان. قال عديّ بن زيد العبادي:

وجاعل الشَّمس مِصرًا لا خفاء به ∴ بين النَّهار وبين اللَّيل قد فَصَلا

و(المِصر) الحاجز بَين الشَّيْئَيْنِ أَو بَين الْأَرْضين (ج) مُصَور. والمِصْر: كلُّ كُورةٍ يقسم فيها الفَيء والصَّدَقات، أو الكورة الْكَبِيرَة تُقَام فِيهَا الدّور والأسواق والمدارس وَغَيرهَا من الْمرَافِق الْعَامَّة،، والوعاء، ومادة حَمْرَاء يصْبغ بهَا ". **ومنه يؤخذ دلالة التحضر والتمدن؛ فكل مكان متحضر يطلق عليه العرب في لغتهم الأولى لفظ (مصر).**

والمعنى الثالث المَصِير، وهو المِعَى، والجمع مُصران ثم مصارين. **ومنه يؤخذ معنى التجميع والتوحيد والربط الذي تقوم عليه مصرنا في علاقات أطيافها الداخلية، وفي علاقاتها بجيرانها وبالقوى العظمى في كل زمان.**

كما بيّن المعجميون القدامى الدلالات اللغوية الجزئية لهذا الجذر، **قال ابن الأعرابيّ(ت٢٣١هـ): المِصْر: الوعاء، ويقال للمِعَى المصير، وجمعه مصران ومصارين.** وقال الإمام الأزهري(ت٣٧٠هـ): مصر هي المدينة المعروفة، تذكر وتؤنث، عن ابن السراج . كما أشاروا إلى أنها وضعت عند العرب قديمًا للدلالة على المكان المتحضر، قالوا: والمصر: واحد الأمصار. والمصر: الكورة، والجمع أمصار. ومصروا الموضع: جعلوه مصرًا، وتمصَّر المكان: صار مصرًا . ومصر: مدينة بعينها سميت بذلك لتمصُّرِها، **وعن اشتقاق مصر قالوا:** قَالَ اللّيث: المِصْرُ فِي كَلَام الْعَرَب: كلّ كُورةٍ. تُقَام فِيهَا الحُدود ويُقسَم فِيهَا الفَيْءُ والصدقاتُ من غير مُؤَامَرَة الْخَلِيفَة، وَكَانَ

عمرُ –رَضِي الله عَنهُ– مَصّر الأمصارَ مِنْهَا البَصْرة والكوفة. والأمصار عِنْد الْعَرَب تِلْكَ. قَالَ: ومصر: الكورة الْمَعْرُوفَة لَا تصرف.

وقال الجوهري (ت٣٩٣ هـ): فلان مصر الأمصار كما يقال مدن المدن وحمر مصار. ومصاري: جمع مصري، عن كراع. ومصْر: مفرد أمصار ومُصُور: مدينة، أو منطقة كبيرة تُقام فيها الدُّورُ والأسواقُ والمدارسُ وغيرها من المرافق العامَّة.

كما أشار المعجميون العرب القدامى إلى سبب تسميتها؛ قال الزبيدي:" ومِصْرُ: الكَسرُ فِيهَا أَشهر، فَلَا يُتَوَهَّم فِيهَا غَيره، كَمَا قَالَه شَيخنَا، قلتُ: والعامَّة تفتحها، هِيَ الْمَدِينَة الْمَعْرُوفَة الْآن، سُمِّيَتْ بذلك لتَمَصُّرها أَي تَمَدُّنها، في معجم الصحاح:" وقد زعموا أن الذي بناها إنما هو المصر بن نوح – عليه السلام –، فسُمِّيت بِهِ. قال ابن سيده(ت٤٥٨هـ): ولا أدري كيف ذاك، ولست على ثقة منه! وَفِي الرَّوضِ: إنَّها سُمِّيَت باسم بانيها، وَنقل شَيخنَا عَن الجاحِظ فِي تَعْلِيل تَسْمِيَتهَا: لِمَصيرِ النَّاس إِلَيْهَا. وَهُوَ لَا يَخْلُو عَن نظرٍ[1].

وقال ابن دحية(ت٦٦٨هـ):"وهي عندنا مشتقة من: مَصَرْت الشاةَ إذا أخذت من ضرعها اللبن؛ فسُمِّيت: مصر؛ لكثرة ما فيها من الخير مما ليس في غيرها، فلا يخلو ساكنها من خير يدرّ عليه منها كالشاة التي

---

(١) تهذيب اللغة١٢/١٢٩، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية٢/٨١٧، (م/ص/ر)، تاج العروس(م/ص/ر). روى المقريزي(ت٨٤٥هـ) في كتابه(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) أن للجاحظ كتابًا في مدح مصر، قال: قال الجاحظ في كتاب مدح مصر: "إنما سميت مصر بمصر لمصير الناس إليها، واجتماعهم بها. كما سمي مصير الجوف مصيرًا ومصرانًا لمصير الطعام إليه، قال: وجمع المصر من البلدان أمصار، وجمع مصير الطعام مصران، وليس لمصر هذه جمع لأنها واحدة". المواعظ والاعتبار ١/٤٢.

ينتفع بلبنها وصوفها وولادتها[١].

كما تحدث النحاة والمعجميون عن لفظة مصر صرفيًّا ولغويًّا وإعرابيًّا في القرآن الكريم؛ فقد جاء في معجم العين:" وقد مَصَّرَ عُمَرُ [بن الخطّاب] سبعةَ أمصارٍ منها: البصرةُ والكوفةُ، فالأمصارُ عند العَرَبِ تلكَ. وقوله تعالى: { اهبطوا مصرًا} من الأمصار، ولذلك نوَّنه، ولو أراد مِصرَ الكورةَ بعَينِها لما نَوَّنَ، لأنَ الاسْمَ المؤنَّثَ في المعرفةِ لا يُجرَى. ومِصْرُ هي اليَومَ كورةٌ معروفةٌ بعَينِها لا تُصْرَفُ[٢]". وقال سيبويه في قوله تعالى: {اهبطوا مصرًا}، قال: بلغنا أنه يريد مصر بعينها. وفي التهذيب: في قوله: {اهبطوا مصرًا} قَالَ أَبُو إِسْحَاق: الْأَكْثَر فِي الْقِرَاءَة إثباتُ الْأَلف وَفِيه وَجْهَان جائزان: يرادُ بهَا مصرٌ من الْأَمْصَار؛ لأَنهم كَانُوا فِي تِيهٍ، وَجَائِز أَن يكون أَرَادَ مصرَ بعيْنِها؛ فَجعل مِصْرَ اسْما للبلد فصَرفَ، لِأَنَّهُ مذكَّر سُمِيَ بِهِ مذكّر. وَمن قَرَأَ: (مصرَ) بِغَيْر ألفٍ أَرَادَ مِصْرَ بعينِها؛ كَمَا قَالَ: {ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ} (يُوسُف: ٩٩) **وَلم يُصرَف؛ لِأَنَّهُ اسْم الْمَدِينَة فَهُوَ مذكَّر سمّيَ بِهِ مؤنث. وقال الحافظ أبو الخطاب مجد الدين عمر بن دحية(ت٦٦٨هـ): ومصر أخصب بلاد الله وسماها الله بمصر، وهي هذه دون غيرها بإجماع القرّاء على ترك صرفها، وهي اسم لا ينصرف في معرفة لأنه اسم مذكر سميت به هذه المدينة، واجتمع فيه التأنيث والتعريف فمنعاه الصرف**[٣].

وقد اختلف في تفسير تسمية مصر بـ «أرض الكنانة» بين قائل: إنها الأرض «المكنونة» وهي التي صانها الله وحفظها في قلب الصحراء، وقد

---

(١) راجع العين، والتهذيب، والصحاح، واللسان(م/ص/ر)، وتاج العروس٣/٤٣.

(٢) العين ٧/١٢٣.

(٣) تاج العروس٣/٤٣، وخطط المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ١/٣٤..

جاء في المعاجم: "الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ: وِقاء كل شيءٍ وسِتْرُه[١]، وقائل: إن هذه التسمية مستمدة من أثر شريف لفظه:"مصر كنانة الله في أرضه، ما طلبها عدو إلا أهلكه الله[٢]".

أما هذا الأصل المصري العتيق(القبط) فهو حاضر عند المعجميين العرب القدامى منذ أولهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ) في كتابه العين وانتهاء بأكبرها الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) في معجمه تاج العروس؛ فقد قرروا أن (القبط) لفظة عربية من الجذر اللغوي(ق/ب/ط) الدائر حول معنى كلي واحد هو الجمع. قال ابن دريد: القبط: جمعُك الشيءَ بيدِكَ. يقال: قبطتُه أقبِطُه قَبْطًا[٣]. و**(القِبْطُ، بالكَسْرِ)**: جِيلٌ بمِصْرَ. وَفِي الصّحاحِ: القِبْطُ: أَهْلُ مِصْرَ، وهم بُنْكُها، بالضَّمِّ، أَي أَصلُها وخَالِصُها. والنسبةُ إليهم قِبْطِي، واخْتُلِفَ فِي نَسَبِ القِبْط، فقِيلَ: هُوَ القِبْطُ بنُ حَامِ بنِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السّلامُ، وذَكَر صاحبُ الشَّجَرَةِ أَنَّ مِصْرَايِم ابْن حامٍ أَعْقَبَ من لوذيم، وأَنَّ لوذيم أَعْقَب قِبْطَ مِصْرَ بالصَّعِيدِ، وذَكَرَ أَبو هاشِمٍ أَحْمَدُ بنُ جَعْفَر العَبّاسيُّ الصّالِحِيُّ النَّسّابَةُ قِبْطَ مِصْرَ فِي كِتابِه، فَقَالَ: هم وَلَدُ قِبْط بن مِصْرَ بنِ قُوطِ بنِ حامٍ. و**(الثياب القُبْطية)** لعلها منسوبة إلى هؤلاء، إلا أن القاف ضمت للفرق. والنسبة قبطي وقبطية، ويجمع على قباطي. و**(القبطية)**: ثياب بيض رقاق من كتان، تتخذ بمصر. وقد يضم، لأنهم يغيرون في النسبة، كما قالوا: سهلي ودهري. قال زهير:

لَيَأْتِينَّكَ مِنِّي منطِقٌ قَذَعٌ ∴ باقٍ كما دنَّسَ القُبْطيةَ الودَكُ

---

(١) حضارة مصر أرض الكنانة ص١٩، د/سليمان حزين، طبع دار الشروق سنة١٩٩١م، والعين، باب الكاف والنون٥/٢٨١، تاج العروس(ك/ن/ن)٣٦/٦٣..

(٢) أثر شريف معناه صحيح، راجع المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة١/٦٠٩، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة١/١٧٨.

(٣) المقاييس ٥/٥٠.

وقالَ اللَّيْثُ: لمّا أُلْزِمَتِ الثِّيَابُ هَذَا الاسْمَ غَيَّرُوا اللّفظَ؛ فالإنْسانُ قِبْطِيٌّ، بالكَسْرِ، والثَّوْبُ قُبْطِيٌّ، بالضَّمِّ [١]... ومما يؤكد هذا التشريف للأصل المصري الوصية الصريحة المباشرة بالقبط خيرًا في الحديث النبوي الشريف الصحيح! وقال **عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–: "قَبَطَة مصرَ أكرمُ الأعاجمِ كلِّها، وأسمحُهم يدًا، وأفضلُهم عنصرًا، وأقربهم رحمًا بالعرب عامة، وبقريش خاصة**[٢]".

نهر النيل معجميًّا:

يشير الخطاب المعجمي العربي العتيق إلى أن اسم نهر النيل لفظة عربية على الأرجح؛ إذ يذكر الإمام الفارابي(ت٣٥٠هـ) في معجمه ديوان الأدب، والإمام الأَزْهَرِيُّ(ت٣٧٠هـ) في معجمه تهذيب اللغة[٣]، ذلك الأصل العربي للفظ (النيل) في أثناء حديثهم عن الجذر اللغوي [ن/و/ل]. يقول الأَزْهَرِيُّ(ت٣٧٠هـ) إلى الأصل العربي للنيل[ن/و/ل] قائلاً: "النَّيْلُ مِن ذَواتِ الواوِ، صَيَّرُوها يَاء؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ نَيْوِلٌ، فَأَدْغَمُوا الواوَ فِي الياءِ، فَقَالوا: نَيِّل، ثُمَّ خَفَّفُوا، فَقَالُوا: نَيْلٌ، وَمِثْلُه: مَيِّت وَمَيْت. قَالَ: وَهو مِنْ نِلْتُ أَنَالُ، لاَ مِنْ نُلْتُ أَنُولُ،... وجاء في معجم لسان العرب، وفي الصحاح: فيض مصر...[٤]. ويشير أبو منصور الأزهري في تهذيبه إلى ورود لفظة النيل في شعر لبيد

---

(١) العين ١٠٩/٥، و الصحاح (ق/ب/ط)١١٥٠/٣.

(٢)أثر شريف ورد في فتوح مصر والمغرب٢٤/١، والنجوم الزاهرة٢٩/١،وحسن المحاضرة١٨/١.

(٣) راجع معجم ديوان الأدب ٣٢٦/٣، تح د/أحمد مختار عمر، ومعجم تهذيب اللغة ٢٦٧/١٥،.

(٤) راجع: تهذيب اللغة ٢٦٧/١٥، لسان العرب(ن /و/ ل)، وتاج العروس (ن /و/ ل)٢٣/١٦..

بن ربيعة العامري، بقوله: وَرَأَيْت فِي سَواد الْكُوفَة قَرْيَة يُقال لَهَا: النِّيل، يخترقُها خليج كَبِير يَتخلّج من الفُرات الكَبير؛ وَقَالَ لَبيد يَذكره:

فقد رميت بداء لست غاسله ∴ مَا جاور النَّيل يَوْمًا أهلُ إِبْليلا[1]

وواضح أنه نيل آخر غير نيل مصر!

وقد جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ) أن النيل " تعريب نيلوس من الرومية[2]، وذكر بعض المحدثين أن أصل النيل من اللغة اليونانية (Neilos)، وقيل: من اللغة النوبية، وأنها تعود إلى كلمة "ني" التي مازال يستخدمها أهل النوبة في وصف النهر، والتي تعني "أشرب"، وعادة ما يقول النوبيون: "نيلا تون نيلوس"، وهي عبارة تعني: "شربت من مكان الشرب". ويعد الإمام الأصمعي (ت٢١٦هـ) من أوائل اللغويين ذكرًا لنهر النيل بقوله :" النيل نهر مصر، حماها الله وصانها[3]".

ومن أبلغ العبارات المعجمية في وصف النيل قول الإمام للجوهري(ت٣٩٣هـ) في معجمه (تاج اللغة وصحاح العربية): "فيض مصر[4]" وما الفيض إلا خير وزيادة وبركة، إن شاء الله تعالى، فالنيل مصدر كل خضرة ونضرة، وينبوع الحياة والأحياء. وهذه العبارة (فيض مصر) تذكرنا بعبارة (هبة النيل)، المبالغة في مكانة نهرنا الخالد بإذن الله تعالى.

<u>وقد عُني المعجميون العرب في خطابهم الممتد المتنوع بكثير من أماكن مصر ولغاتها</u>؛ إذ تُعرف مصر عندهم بالنيل، قال الجوهري(ت٣٩٣هـ):

---

(١) راجع: تهذيب اللغة ٢٦٨/١٥، ن/ي/ل. ويروي(إيليلا) باليياء، وهو في المستقصى للزمخشري ١٩٢/٢.

(٢) معجم البلدان ٥/ ٣٣٤.

(٣) راجع: تهذيب اللغة ٢٦٧/١٥، ولسان العرب، وتاج العروس (ن /و/ ل)٢٣/١٦.

(٤) راجع: الصحاح ١٨٣٨/٥.

"والنِّيل: نيلُ مصر، وَهُوَ نَهْرُه. وفي الصحاح: " النيل فيض مصر[١]". وفي معجم العين: "والفَرَما: مدينة من عَمَل مِصْر[٢]، وفي التهذيب:" وكل مَدِينَة فُسطاط، وَمِنْه قيل لمدينة مِصْرَ الَّتِي بناها عَمْرو بنُ الْعَاصِ: الفُسطاط[٣]. ويكاد يكون الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) مؤلف معجم تاج العروس رحالة انتقل في كل البلدان والقرى المصرية؛ ففي كثير من تكملته وذيله وشرحه على القاموس نجده يقول: وهي بلدة بمصر وقد زرتها، أو رأيتها، أو مررت بها. مثل قوله: "ومنيةُ كِنانَةَ: قَرْيةٌ بشرقية مِصْرَ، وَقد رأَيْتُها... [٤].

وكذا نجد اهتمامًا بلغة أهل مصر؛ ففي معجم العين: هَيْتَ: من كلام أهل مصر"، و"الوهين بلغة أهلِ مصر: رجلٌ يكون مع الأجير في العمل يَحُثُّه على العَمَل"، و"فقص: الفقوص: الفَقّوصُ: البطيخ، بلغة مصر: الذي لم ينضج"، و"قرطس: القِرْطاس [معروف]، يتخذ من بردي مصر"....[٥].

ومن الجميل الطريف علميًّا أن يؤلف عالم من العصر العثماني كتابًا عن لغة أهل مصر بعنوان "دفع الإصر عن لغة أهل مصر" للشيخ يوسف المغربي الأزهري (ت١٠١٥هـ)، قصدَ فيه مؤلفه بيان ألفاظ يحكم الظاهر بخطئها، والحال أنها صواب، وكلمات تظهرّ صحتها، ولم توافق ما عليه ذوو الألباب، وهو مرتب على حروف الهجاء، ترتيب القاموس المحيط القافوي!.

---

(١) راجع التهذيب والصحاح(ن/ي/ل).

(٢) العين٨/٢٧٢،(ف/ر/م).

(٣) تهذيب اللغة١٢/٣٢٨.

(٤) تاج العروس٣٦/٦٨.

(٥) راجع معجم العين: جـ٤، ص٨١، باب الهاء والذال وما معها ، جـ ٤، ص٩٢، باب الهاء والنون وما معهما، وجـ٥، ص٦٧، باب القاف والصاد والباء، حـ٤، ص٨١، باب الهاء والذال وما معها ، وباب الهاء والنون وما معهما في جـ٤، ص٩٢، وباب القاف والصاد والباء،جـ٥، ص٦٧.

المبحث الثاني

مصر مكانًا عامًّا في الخطاب القرآني

شرفت مصر وأهلها بأن ذكرت في الخطاب القرآني المجيد، على أنها المكان العام المعروف جغرافيًّا، ذكرًا قائمًا على (دلالة المنطوق) حيث الذكر الصريح المباشر للفظ (مصر) خمس مرات. أما الذكر القائم على دلالة المفهوم، فهو ذكر كنائي غير مباشر، وكان خاصًّا بالأماكن المصرية الجزئية مثل المدينة، ربوة ذات قرار ومعين، مجمع البحرين،...إلخ.

وهذه المرات من الذكر الكريم المباشر لمصرنا ماثلة في قول الله تعالى-على قول مرجوح بأنها مصرنا-: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ.... ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[5].

ويتدبر مرات الذكر الإلهي الكريم المباشر لمصرنا في الخطاب القرآني المجيد- سواء أكان إلهيًّا من الله تعالى مباشرة أمرًا وتوجيهًا، أو كان بشريًّا

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٦١.

(٢) يونس، الآية٨٧.

(٣) سورة يوسف، الآية٢١.

(٤) سورة يوسف، الآية٩٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٥١.

على لسان سيدنا موسى أو سيدنا يوسف، عليهما السلام، أو فرعون–نجد أنها أرض العطاء والأمان والإيمان، وذلك في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ.. ﴾[١]، على القول بأنها مصر، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥].

إن الخطاب والسياق في هذه الآيات الكريمة يدل على تميز مصرنا بالقوة الاقتصادية المعطاءة، إذ إن من ينزل إليها وفيها يجد ما يطلب: ﴿لَكُم ما سَأَلْتُمْ﴾، ومصر ذات قوة عمرانية طيبة، وهي الصالحة أن تكون مساجد، وأن تكثر بها، كما في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى: **(تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيوتَكُمْ قِبْلَةً)**، ومصر معروفة بالسلوك الحضاري الراقي الجميل مع الأطفال، كما في قوله تعالى: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، ومصر مقرونة بالأمن التام كما في قوله تعالى: ﴿ادخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾، ومصر معروفة بالبركة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ شَاءَ اللهُ)؛ فتعبير المشيئة الإلهية دال على بركتها، وأن كل شيء في أرضها بإذن الله تعالى وحوله وقوته عز وجل. ومصر معروفة بالقوة السياسية والاقتصادية

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٦١.

(٢) يونس، الآية٨٧.

(٣) سورة يوسف، الآية٢١.

(٤) سورة يوسف، الآية٩٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٥١.

العظيمة، المغرية على الفخر والكبر، كما في قوله تعالى ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾، ومعروفة بالخير المائي كما في قوله تعالى:﴿هذِهِ الأَنْهار﴾! ويمكن أن نستنبط من الخطاب في هذه الآيات أن (مصر) عندما اسم علم على الوطن تكون ممنوعة من الصرف، وعندما تكون اسم كل مكان متحضر تكون مصروفة كما في آية سورة البقرة!

مصر مكانًا مطلقًا:

وذلك في مواضع من الخطاب القرآني المجيد، يطلق فيها على مصر لفظ أكثر عمومية وإطلاقًا، وهو لفظ (الأرضُ)؛ فقد ورد لفظ (الأرض) في القرآن الكريم أربعمائة وثمانيًا وخمسين مرة (٤٥٨مرة)، منها ما يبين أن الأرض صالحة ميسرة للإنسان، وأن عليه السعي فيها للإفادة من خيرها وذخائرها، في قول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[1]، كما أن في القرآن الكريم دعوة إلى تنمية الأرض قال الله تعالى: ﴿**هوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾[2]، ثم يكثر الحديث عن الأرض(بما فيها، ومن فيها) في هذا الخطاب المقدس على أنها من آيات الله الكبرى.

_ومما يفخر به أن لفظة (الأرض) جاءت بمعنى (مصرنا، حفظها الله) في مواضع كثيرة من كتاب ربنا –عز وجل– منها، لاسيما في السرد القرآني لقصتي سيدنا يوسف وسيدنا موسى عليهما السلام.

وإن تدبر لفظة الأرض في السرد القرآني لقصة سيدنا موسى بسور(البقرة، والمائدة والأعراف، ويونس، ويوسف، والإسراء، والشعراء، والقصص،

---

(١) سورة الملك، الآية١٥.

(٢) سورة هود، الآية٦١.

والعنكبوت)، يظهر لنا أنها وردت اثنتين وأربعين مرة: منها ست وثلاثين مرة، بلفظ(الأرض)، وبلفظ(أرضًا) مرة، وبلفظ(أرضكم) ثلاث مرات، وبلفظ(أرضنا) ثلاث مرات، وقد عُبِّر بها في كل هذه المواضع عن مصرنا المحروسة. ويمكننا تصنيف الخطاب في هذه المرات موضوعيًّا إلى الآتي:

فقد وجدت سبعة خطابات قرآنية كريمة[١]، تتضمن الدعوة إلى حماية الأرض المصرية من الفساد، فيأتي النهي عن الفساد في الأرض المصرية في قوله تعالى مخاطبًا قارون: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٢]، وذلك بماله وكنوزه المغرية الخادعة المضللة! وكذا في قول الله تعالى على لسان فرعون زاعمًا حماية مصر من فساد موسى وبني إسرائيل الديني والاقتصادي: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾[٣]، والقول نفسه على لسان الملأ من قوم فرعون، بخطاب تحريضي!: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾[٤]، أي كي يفسدوا خدمك

---

(١) ويمكن أن يضاف إلى هذه المواضع قول الله –تعالى– في قصة موسى–عليه السلام– مع بني إسرائيل مشيرًا إلى الفساد الاقتصادي: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٦٠]، وذلك على القول بأن أرض التيه تشمل منطقة من أرض سيناء حتى فلسطين!.

(٢) سورة القصص، الآية٧٧.

(٣) سورة غافر، الآية٢٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية١٢٧.

وعبيدك عليك في أرضك من مصر[١]، وزاد هؤلاء من حبهم مصر فعبروا عنها بتعبير(أرضكم) الدال على الملكية في قول الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾[٣]، وقوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[٥].

وبادٍ في هذه الخطابات مدى حرص فرعون وقومه وملئه على هذه الأرض، ومدى رغبتهم في حمايتها، ومدى خوفهم المذعور عليها من موسى–عليه السلام– وقومه، في ظنهم المريض، إنهم غارقون في حب هذه الأرض حبًّا جمًّا، عبر إضافة الأرض إلى ضمير خطاب للجماعة(أرضكم)، وضمير التكلم للجماعة(أرضنا)!

كما عبر الخطاب القرآني عن مصر بلفظ(البلاد) في سياق الربط بين أرض مصرنا والفساد، وذلك في قوله تعالى مخبرًا عن قوة فرعون وجبروته:

---

(١) تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن ٣٦/١٢، تح/أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة سنة ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان:١٠٩–١١٠.

(٣) سورة طه، الآية٦٣.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان ٣٤–٣٥.

(٥) سورة غافر، الآية٢٦.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ*الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾(١)؛ ففي هذا الخطاب ذكر مكان عام معبر به عن مصر، وهو لفظ (البلاد)، وهو لفظ –كما يقرر المفسرون– أرض الطغاة العُتاة الجبابرة: عاد وثمود وفرعون، الذين عاثوا في البلاد بالأذية والمعاصي والإجرام والتخريب، فلما بلغوا من العُتُوّ ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوبًا وسوط عذاب، فالله بالمرصاد لمن عصاه وتجبر وتكبر وخرب وأفسد، يمهله قليلًا، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، عز وجل.

وفي سياق الحديث عن القيمة الاقتصادية للأرض المصرية نجد الخطاب القرآني الكريم في قوله تعالى عن قصة موسى–عليه السلام– مع بني إسرائيل، على القول بأن أحداث هذا الخطاب القصصي كان في مصر: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(٢).

قال الإمام الطبري(ت٣١٠هـ) في تفسير هذا الخطاب القرآني: "وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ –جَلَّ وَعَزَّ–: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾(٣)؛ فَإِنَّ

(١) سورة الفجر، الآيات ١١–١٤. والأوتاد إما إشارة إلى الجنود، حيث تثبت ملكه، أو هي أدوا العذيب، أو المباني المشيدة كالأهرامات!

(٢) سورة البقرة، الآية٦١.

(٣) سورة البقرة، الآية٦١.

مِنْ حُجَّتِهِمُ الَّتِي احْتَجُّوا بِهَا الْآيَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[2] قَالُوا: فَأَخْبَرَ اللَّهُ-جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ قَدْ وَرَّثَهُمْ ذَلِكَ وَجَعَلَهَا لَهُمْ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرِثُونَهَا ثُمَّ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا. قَالُوا: وَلَا يَكُونُونَ مُنْتَفِعِينَ بِهَا إِلَّا بِمَصِيرِ بَعْضِهِمْ إِلَيْهَا، وَإِلَّا فَلَا وَجْهَ لِلِانْتِفَاعِ بِهَا إِنْ لَمْ يَصِيرُوا أَوْ يَصِرْ بَعْضُهُمْ إِلَيْهَا. قَالُوا: وَأُخْرَى أَنَّهَا فِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ **وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ**: ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ﴾ بِغَيْرِ أَلِفٍ، قَالُوا: فَفِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْبَيِّنَةُ أَنَّهَا مِصْرُ بِعَيْنِهَا. وَالَّذِي نَقُولُ بِهِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَا دَلَالَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى الصَّوَابِ مِنْ هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ، وَلَا خَبَرَ بِهِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْطَعُ مَجِيئُهُ الْعُذْرَ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ مُتَنَازِعُونَ تَأْوِيلَهُ. فَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُعْطِيَ قَوْمَهُ مَا سَأَلُوهُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ عَلَى مَا بَيَّنَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي كِتَابِهِ وَهُمْ فِي الْأَرْضِ تَائِهُونَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِمُوسَى دُعَاءَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَهْبِطَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ قَرَارًا مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تُنْبِتُ لَهُمْ مَا سَأَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ الَّذِي سَأَلُوهُ لَا تُنْبِتُهُ إِلَّا الْقُرَى وَالْأَمْصَارُ وَأَنَّهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ ذَلِكَ إِذْ صَارُوا إِلَيْهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَرَارُ مِصْرَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الشَّامَ[3]. وبرى الأستاذ الدكتور كاظم الظواهري-محكم هذا البحث- "أن قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ﴾ فيه تعجيز لهم وتهديد بعودتهم إلى الذل الذي أنجاهم الله منه، أو هو دعوة لهم

(١) سورة الشعراء، الآية: ٥٧..

(٢) سورة الدخان، الآية: ٢٥..

(٣) تفسير الطبري٢/١٣٤..

بمواصلة الرحلة إلى الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، وهم عنها ناكلون خوفا من الجبارين كما تدل على ذلك مجريات القصة".

فالأرض المُنبِتةُ في هذا الخطاب السردي –على رأي من رأيين–هي مصر، و(مصرًا) المصروفة ما سميت بهذا الاسم إلا دلالة على كون كل مكان متمدن به مقومات الحياة والأحياء لا يستحق اسمًا إلا اسم مصر كنانة الله –تعالى–وخزانته في الأرض، بحوله وقوته وإذنه! وهذه القيمة الاقتصادية لمصر مقررة قرآنيًا في غير موضع وخطاب بسورة يوسف عليه السلام!

ويعضد هذه المكانة الاقتصادية ما أشير إليه عن مصر في الخطاب القرآني، من أنها جنات وعيون وزروع ومقام كريم، في قوله تعالى: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**﴾[(١)]، **قال الإمام الطبري:** "يقول تعالى ذكره: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهي الجنات، وعيون، يعني: ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم وزروع قائمة في مزارعهم (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) يقول: وموضع كانوا يقومونه شريف كريم. ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم، فقال بعضهم: وصفه بذلك لشرفه، وذلك أنه مَقام الملوك والأمراء، قالوا: وإنما أريد به المنابر"[(٢)].

مصر الأرض اليوسفية في الخطاب القرآني الكريم

في سورة يوسف–عليه السلام– ورد لفظ الأرض ست مرات: خمسًا مقصودًا بها مصر، وواحدة مقصودًا بها جنس الأرض، كما ذكرت مرتين

---

(١) سورة الدخان، الآيات٢٥–٢٧.

(٢) تفسير الطبري٢٢/٣١.

صراحة بلفظها (مصر)! وفي كل هذه الخطابات نجدها مكانَ أمنٍ، ومكانَ إكرامٍ، ومكان تمكين للصالحين المصلحين، ومكان عبرةٍ واتعاظٍ، فمصر الممكنة للصالحين المصلحين ظاهرة في قول الله تعالى على لسان سيدنا يوسف -عليه السلام-: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1]، ومصر المكرمة للغريب والمكرمة للأطفال بادية في قوله تعالى عن عزيز مصر: ﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، ومصر التي تعدل الأرض كلها عند الأجانب(أم الدنيا) بادية في قول الله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ**﴾[3]، وفي قوله تعالى على لسان أخي يوسف: ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[4]، ومصر الزاخرة بالآثار التاريخية التي فيها دافع على أخذ العبر والعظات في قول الله تعالى في ختام قصة يوسف: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي**

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٥٥-٥٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٧٣-٧٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

﴿إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١].

إن هذا الخطاب القرآني المتعدد والمتنوع من قصة نبي الله يوسف–عليه السلام–يشير بجلاء إلى الحالة الحضارية، والقوة الاقتصادية، والتنوع البشري في مصرنا، وأن بمصر (خزائن) وكنوزًا اقتصادية متنوعة كافية بإذن الله لإغاثة المحتاجين، إن وجد ذاك القوي الأمين(الحفيظ العليم)، فيحافظ عليها، ويتعامل معها بعلم! قال سعيد بن منصور(ت٢٢٧هـ): سمعت مالك بن أنس –رضي الله عنه– يقول: مصر خزانة الأرض[٢].

وروى ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ) في معجمه قائلاً: "قال لي أحمد بن المدبّر أبو الحسن: "**لَوْ عُمّرَتْ مصرُ كلُّها لوَفَتْ بالدنيا**"[٣].

مصر الأرض الفرعونية في الخطاب القرآني الكريم:

<u>حيث نجد الكبر والعلو ورفض الحق والكفر بالله من قبل المستكبرين فيها، وعاقبة ذلك والعقاب الإلهي لفاعليه</u> في قول الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

(٢) تفسير القرطبي(ت٦٧١هـ)الجامع لأحكام القرآن ٢١٣/٩، تح/أحمد البردوني، دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٤م، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية(٥٤٢١هـ) ٣٢٥/٩، تح/عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٢هـ.

(٣) معجم البلدان١٣٨/٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]، وفي قول الله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[2].

قال الإمام الطبري:" يقول تعالى ذكره: (وَاسْتَكْبَرَ) فرعون (وَجُنُودُهُ) في أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله، والإقرار بالعبودية له بغير الحقّ، يعني تَعدِّيًا وعتوًّا على ربهم. **(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ)** يقول: وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب، ولا عقاب، فركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة. وقوله: (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ) يقول تعالى ذكره: فجمعنا فرعون وجنوده من القبط (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) يقول: فألقيناهم جميعهم في البحر فأغرقناهم فيه،... وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر... غرّقهم الله فيه. وقوله: (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره: فانظر يا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم، وردّوا على رسوله نصيحته؟! ألم نهلكهم فَنُوَرِّثُ ديارهم وأموالهم أولياءنا، ونخوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز، ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، تقتل أبناؤهم، وتُستحيا نساؤهم؟! فإنا كذلك بك وبمن آمن بك وصدّقك فاعلون مخوّلوك وإياهم ديار من كذّبك، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحقّ وأموالهم، ومهلكوهم قتلا بالسيف، سنة الله في الذين خلوا من قبل"[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٨.

(٢) سورة القصص، الآيتان:٣٩-٤٠.

(٣) تفسير الطبري١٩/٥٨٢.

وهذا العقاب للمستكبرين في الأرض المصرية ليس خاصا بفرعون وحده، قال الله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١)، وقال الله تعالى عن قارون الذي كان من قوم موسى فأصابه الغرور بالمال والعلم، فكان عقاب الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

ونجد مصر في ظلال الحكم الفرعوني المستكبر مقر الإرهاب والتخويف لأهل الحق والإيمان، والعلو والإسراف الفرعوني في قول الله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾(٣)، وفي قول الله تعالى خبرًا عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

(١) سورة العنكبوت، الآيتان:٣٩-٤٠.

(٢) سورة القصص، الآيات:٨١-٨٣.

(٣) سورة يونس، الآية:٨٣.

يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(١).

ونجدها ساحة الخطاب الحجاجي الجدالي بين أهل الحق وأهل الباطل في قول الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، وفي قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾(٣)، ونجد مصرنا ساحة الحجاج للحق في قول الله على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(٤).

وهكذا تأتي مصر مكانًا عامًّا في هذه الخطابات القرآنية المقدسة ونجدها في هذه الآيات القرآنية الكريمة الأرض المصرية المحمية المحفوظة من الفساد والمفسدين، ذات القيمة الاقتصادية الطيبة، والمكان المبارك المقدس، والمكان الذي يبدأ منه العقاب الإلهي للعصاة والفساق والخارجين على أمر الله تعالى ونهجه، والمكان الذي يبدأ منه الاستخلاف والتمكين للصالحين المصلحين.

---

(١) سورة القصص، الآية:٤.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٧٧-٧٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٩.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٩.

المبحث الثالث

مصر مكانًا جزئيًّا في الخطاب القرآني

حضرت مصر مكانًا جزئيًّا خاصًّا عن طريق دلالة المفهوم عندما عُبِّر عنها بألفاظ: (المدينة أو المدائن أو ربوة ذات قرار ومعين، على القول بأن المقصود بها مصر، كما ذكرت أماكن من مصرنا مثل سيناء، والطور، والوادي المقدس، والأوتاد، والسجن...إلخ)، وقد ذكر الإمام السيوطي(ت٩١١هـ) أنها ذكرت ثلاثين مرة في القرآن الكريم كناية، بشكل غير مباشر. قال: "قال ابن زولاق[١] : "ذكرت مصر في القرآن في ثمانية وعشرين موضعًا. قلت: بل أكثر من ثلاثين[٢]".

ويمكننا أن نصنف هذه الأماكن المصرية الجزئية الواردة في الخطاب القرآني المجيد إلى: (أماكن حياتية): وهي (المدينة، والمدائن، والأوتاد، والصرح، والسجن، والعرش، والبيت، والدار، والمثوى، والمتكأ)، و(أماكن دينية): وهي(سيناء، وجبل الطور، والوادي المقدس طوى، وعيون موسى، وربوة ذات قرار ومعين)، وهاك بيانهما:

أولاً: أماكن مصرية جزئية حياتية:

وهي (المدينة، والمدائن، والأوتاد، والصرح، والسجن، والعرش، والبيت، والدار، والمثوى والمتكأ)، وهاك بيانها:

(١) المدينة: من مرات دلالة المفهوم بالذكر الكنائي غير المباشر عن مصرنا، التعبير عنها بلفظ (المدينة) خمس مرات، من جملة أربع

---

(١) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين، من ولد سليمان بن زولاق، مؤرخ مصر، ومن كتبه: خطط مصر ومختصر تاريخ مصر. توفي سنة ٣٨٧. وفيات الأعيان لابن خلكان ١: ١٣٤.

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة١/٥، تح/محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب سنة ١٩٦٩م.

عشرة مرة وردت فيها لفظة المدينة في الخطاب القرآني؛ فقد وردت هذه اللفظة مقصودًا بها العاصمة المصرية، ذلك المكان الجزئي الرئيس الفاعل الزاخر بالحركة والأحياء؛ ففي قصة سيدنا يوسف نجد الخطاب النسوي الهمَّاز اللمَّاز في قوله تعالى مشيرًا إلى الحضور النسوي في المدينة المصرية!: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾(١).

وها هو ذا خطاب قرآني سردي في مقطع من حياة موسى-عليه السلام- الشبابية في المدينة المصرية التي فيها حالة من الصخب والعراك الشبابي بين المصريين وأتباع موسى -عليه السلام-، يقول الله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ* قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(٢)، وقوله تعالى عن سيدنا موسى:

---

(١) سورة يوسف، الآية ٣٠.

(٢) سورة القصص، الآية١٨.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ دالٌّ على حالة قانونية، وحالة أمنية وشُرَطِية خاصة... ولا تخلو هذه المدينة من النماذج البشرية الإيجابية وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١)، وتركيب(أقصى المدينة) دال على كِبَر مساحة المدينة، ومدى حب ذلك الرجل لموسى–عليه السلام–، وتنكير (رجل) دال على مكانة موسى بين جموع الشعب المصري حينئذً!. وتأتي مصر بلفظ (المدينة) ساحة للجدال بين فرعون وسحرته، وتهديده وإرهابه إياهم، بعد أن آمنوا برب موسى وهارون، عليهما السلام، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

(١) **المدائن:** أتى التعبير عن بعض مواقع في مصر بلفظ(المدائن) المجموع جمع تكسير **للكثرة، في ثلاثة** مواضع قرآنية، هي:

– في قول الله على لسان الملأ من قوم فرعون في خطاب تحريضي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾(٣).

– وفي قوله: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾(٤).

---

(١) سورة القصص، الآية ٢٠، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي أن المدينة في هذه الآية منف، وكان فرعون بها. .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١١١.

(٤) سورة الشعراء، الآية٣٦–٣٧.

- وفي قوله تعالى مخبرًا ساردًا: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ* فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١].

وهذا ما يدل على القمة في التمدن والتحضر، حيث قسمت مصر الفرعونية إلى أقاليم(مدن)، وكان لكل إقليم (مدينة) عاصمة وحاكم وشعار، كما تقرر كتب التاريخ المصري القديم.

(٣) الأوتاد: وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾[٢] وفي قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الذين جَابُواْ الصخر بالواد* وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوتاد﴾[٣]، والأوتاد: جمع وتد بكسر التاء، وهو عود غليظ، له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به طنب الخيمة أو حبالها. واختلفت كلمة المفسرين فيها. وقد اقتصر القدماء على تفسير الأوتاد بالجنود أو الأبنية أو الملاعب أو أدوات تعذيب! "قال ابن عباس: كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل: كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل: أراد المباني العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية"[٤]، وبعض المفسرين يفسر هذا التعبير تفسيرًا مجازيًّا؛ فهو تعبير يكنى به عن ثبات الملك ورسوخه!.

---

(١) سورة الشعراء، الآية٥٣-٥٩.

(٢) سورة ص، الآيات: ١٢.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٩-١٠.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(ت٧٤١هـ)٢/٢٠٣، تح/ عبدالله الخالدي، دار الأرقم ببيروت ١٤١٦هـ.

والشائع عند المفسرين المحدثين أنها الأهرامات التي شادها هو ومن قبله من فراعنة مصر في قديم الأزمان، والتي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان، وفرعون المشار إليه هنا، فرعون موسى؛ فهو صاحب الأهرامات والأبنية الفخمة والمسلات المترسخة في الأرض كالأوتاد؛ لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد. وفي هذا دليل على ما أنعم الله به عليهم من القوة والعقل وحسن التدبير، وما أجمل التعبير عما تركه المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد![(١)].

قال الشيخ سيد طنطاوي: "وقال بعض العلماء: ووصف فرعون بذي الأوتاد، لأن مملكته كانت تحتوى على الأهرامات، التي بناها أسلافه؛ لأن صورة الهرم على الأرض تشبه الوتد المدقوق، ويجوز أن يكون المراد بالأوتاد: التمكن والثبات على سبيل الاستعارة، أي: ذي القوة... وقال صاحب الظلال: وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ وهي على الأرجح الأهرامات، التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان، وفرعون المشار إليه هنا، هو فرعون الطاغية الجبار، الذي أرسل الله– تعالى– إليه موسى– عليه السلام–"[(٢)].

(٤) الصرح: وردت الإشارة إلى (الصرح) في موضعين بسورة القصص وسورة غافر على لسان فرعون آمرًا وزيره هامان أن يبنيه ليطلع إلى إله موسى في زعمه الأحمق!: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِى صَرْحًا لَعَلِّى أَطَّلِعُ**

(١) راجع تفسير الشيخ المراغي ١٤٤/٣٠، طبع الحلبي سنة ١٩٤٦م.والتفسير القرآني للقرآن ١٥٥٣/١٦، للشيخ عبدالكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٣٨٧/١٥، دار المعارف، سنة ١٩٩٢م.

﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[1]، ويزداد أمر هذا الصرح بيانًا في خطاب سورة غافر،حيث يقول فرعون:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[2]، وفي هذا إشارة إلى هلاك هذا الصرح وعدم بقاء أثر له!

روى الإمام الطبري عن قَتادة: **(فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ)** قال: فكان أوّل من طبخ الآجرّ يبني به الصرح. وقوله: **(فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا)** يقول: ابنِ لي بالآجرّ بناء، وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر... وقوله: **(لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)** يقول: انظر إلى معبود موسى، الذي يعبده، ويدعو إلى عبادته (وَإِنِّي لأظُنُّهُ) فيما يقول من أن له معبودًا يعبده في السماء، وأنه هو الذي يؤيده وينصره، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين؛ فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح، فارتقى فوقه. فكان من قصته وقصة ارتقائه[3] ما حدثنا الله عنه بأنه صد عن السبيل وأن كيده كان في هلاك! كما في خطاب سورة غافر؛ إذ نلحظ أن هذا الأمر جاء بعد خطاب مؤمن آل فرعون إياهم، إذ "يقول تعالى ذكره: وقال فرعون –لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبيّ الله وحذره من بأس الله على قيله أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان–: **(يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ)** يعني بناء... ومعناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقا كانت تلك الأسباب منها،أو أبوابا، أو منازل، أو غير ذلك... وقوله: **(وَإِنِّي لأظُنُّهُ كَاذِبًا)** يقول: وإني لأظنّ موسى كاذبا فيما يقول

---

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٢) سورة غافر، الآيتان:٣٦-٣٧.

(٣) تفسير الطبري١٩/٥٨٠-٥٨٢.

ويدّعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا. وقوله: **(وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ)** يقول الله تعالى ذكره: وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرّد، قبيحَ عمله، حتى سوّلت له نفسه بلوغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى. وقوله: **(وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ)** يقول تعالى ذكره: وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسار وذهاب مال وغبن، لأنه ذهبت نفقته التي أنفقها على الصرح باطلا ولم ينل بما أنفق شيئا مما أراده، فذلك هو الخسار والتباب"[(١)]. وفي هذين الخطابين دلالة غير مباشرة على الحضارة المادية المسرفة التي وصلت إليها مصر الفرعونية!.

(٥) السجن: ورد لفظ السجن في الخطاب القرآني الكريم بقصة سيدنا يوسف –عليه السلام– ست مرات، هي:

١- ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[(٢)]

٢- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾[(٣)]

٣- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[(٤)]

٤- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾[(٥)]

٥- ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[(٦)]

٦- ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾[(٧)]

---

(١) تفسير الطبري ٢١/٣٨٥-٣٨٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٤١.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

(٧) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

وقراءة سياق هذه الخطابات يدلنا على أن السجن المصري أتى مكانًا يُهدَّد بـه، ومكانًـا يُجتَمـع فيـه لـتُقَص الأحـلام والـرؤى وتُفَسَّـر فيـه هـذه الـرؤى و الأحـلام، ومكانًـا يُـدعَى فيهـا إلـى الله الواحـد القهـار عـز وجـل، ويحـدث بـه حوار ديني واجتماعي، وتعديد لأفضال الله ونعمه، تعالى.

كما أشير إلى «السجن» بصيغة الفعل المضارع في ثلاث آيات، كلها في قصة سيدنا يوسف–عليه السلام– اثنتان على لسان امرأة العزيز، هما: ﴿**إِلَّا أَنْ يُسْـجَنَ أَوْ عَـذَابٌ أَلِيـمٌ**﴾(١)؛ وكذا الثانية ﴿**لَيُسْـجَنَنّ وَلَيَكُونـاً مِـنَ الصّاغِرِينَ**﴾(٢)، والثالثة خبرًا عن الأسياد أهل امرأة العزيز: ﴿**ثُمّ بَـدَا لَهُـمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنّهُ حَتّى حِينٍ**﴾(٣).

كما أشير إلى لفظ «السجن» أيضًا بصيغة اسم المفعول، في سورة الشعراء، في سياق سرد وعيد فرعون لنبي الله موسى –عليه السلام– حيث يقول ربنا على لسان فرعون: ﴿**قَالَ لَئِنِ اتّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِى لأَجْعَلَنّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾(٤)... وهكذا نلحظ أن (السجن) في الخطاب القرآني الكريم مكان خاص بمصر في عهدها الملكي زمن سيدنا يوسف عليه السلام، وفي عهدها الفرعوني زمن سيدنا موسى، عليه السلام!

(٦) **البيت:** وقد جاء لفظ (البيت) في سورة سيدنا يوسف –عليه السلام– في قول الله تعالى خبرًا كنائيًّا عن امرأة العزيز: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ**

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٥.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٢.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٥.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٩.

﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[١]، وإضافة البيت إلى ضمير امرأة العزيز دالة على الملكية. فـ"برغم كون العزيز ملكًا على دولة كبيرة، إلا إن بيته نسب لزوجته وليس له، فلم يقل: القرآن (وراودته التي هو في ملك زوجها عن نفسه)، ولم يقل: **(وراودته التى هو فى بيت زوجها عن نفسه)**، إنما قال: (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه)**. وفي هذا إشارة إلى مكانة المرأة في بيت الزوجية فكأنها مالكه الفعلي، لكونها القائمة بشؤونه**. كما تحمل الآية إشارة إلى امتلاك امرأة العزيز لقلب زوجها وحبه الشديد لها حتى صارت جميع ممتلكاته كأنها ملك لها. فنجد أن المرأة نسبت للعزيز وبيت العزيز نسب للمرأة، ولم ينسب العزيز للمرأة. وهذا تصوير دقيق للعلاقة التي كانت تربط عزيز مصر بزوجته. وحتى مع علمه أنها هي من راودت يوسف عن نفسه لم يطلقها، إنما اكتفى بأمر يوسف بكتمان الخبر ونسيان الواقعة، وأمرها بالاستغفار كما قال تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْـخَاطِئِينَ**﴾ [يوسف: ٢٩] [٢].

وهذا إن دل فإنما يدل على تحضر مصر اليوسفية، والتمكين للمرأة في هذا العهد، وأنها تتمتع بجميع الحقوق التي تكفل لها حياة كريمة !

كما وردت الإشارة إلى **(البيت)** في موضعين من قصة سيدنا موسى عليه السلام، هما:

الأول في مشهد الميلاد، في قول الله تعالى: ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ**

---

(١) سورة يوسف، الآية:٢٣ .

(٢) من مقال الأستاذ شفيق العرج، المعنون بـ"لطائف من نسبة البيوت إلى النساء في القرآن الكريم"، والمنشور في العدد (٣٧٥) من مجلة البيان بتاريخ٢٠٢١/٧/١٠م. .

نَاصِحُونَ﴾[1]، أي: وبعد أن بصرت أخت موسى به عن جنب، ورأت رفضه للمراضع، وبحثهم عمن يرضعه، قالت: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ؟ أي: يقومون بتربيته وإرضاعه من أجل راحتكم وراحته، وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ أي: وهم لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته وغذائه، ولا يقصرون فيما يعود عليه بالخير والعافية.

قال الإمام ابن كثير: أراد فرعون بحوله وقوته، أن ينجو من موسى. فما نفعه ذلك، بل نفذ الله- تعالى- حكمه. بأن يكون إهلاك فرعون على يد موسى، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده- يا فرعون-، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان، إنما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك ... وهلاكك وهلاك جندك على يديه، لتعلم أن رب السموات العلا، هو القاهر الغالب العظيم، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وهكذا تعلن السورة الكريمة في مطلعها، أن ما أراده الله- تعالى- لا بد أن يتم، أمام أعين فرعون وجنده، مهما احتاطوا ومهما احترسوا، وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ، وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ[2].

والثاني: في مشهد شدة طغيان فرعون كان الأمر الإلهي باتخاذ بني إسرائيل بيوتًا بمصرنا، في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]. وقوله: (تَبَوَّءا) من التبوء وهو اتخاذ المباءة أي المنزل، كالتوطن بمعنى اتخاذ الوطن. يقال: بوأته وبوأت له منزلاً إذا أنزلته فيه، وهيأته له. والمعنى: وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون بعد أن لج فرعون في

---

(١) سورة القصص، الآية:١٢.

(٢) تفسير الشيخ طنطاوي ١٠/٣٣٧، و ١٠/٣٨٤.

(٣) سورة يونس، الآية:٨٧.

طغيانه وفي إنزال العذاب بالمؤمنين– أن اتخذا لقومكما المؤمنين بيوتا خاصة بهم في مصر، ينزلون بها، ويستقرون فيها، ويعتزلون فرعون وجنده، إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا. وقوله: ﴿**وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً**﴾ أي: واجعلوا هذه البيوت التي حللتم بها مكانًا لصلاتكم وعبادتكم، بعد أن حال فرعون وجنده بينكم وبين أداء عباداتكم في الأماكن المخصصة لذلك(١).

(٧) **الدار**: وقد أشير إلى (الدار) في قول الله تعالى في الحديث عن قصة قارون وشخصيته: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾(٢). وقوله– تعالى– فَخَسَفْنا من الخسف وهو النزول في الأرض، يقال: خسف المكان خسفا– من باب ضرب– إذا غار في الأرض. ويقال: خسف القمر، إذا ذهب ضوؤه، وخسف الله بفلان الأرض، إذا غيبه فيها. قال الإمام ابن كثير: لما ذكر الله– تعالى– اختيال قارون في زينته، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض، كما ثبت في الصحيح– عند البخاري من حديث الزهري عن سالم– أن أباه حدثه: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «**بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**». أي تمادى قارون في بغيه، ولم يستمع لنصح الناصحين، فغيبناه في الأرض هو وداره، وأذهبناهما فيها إذهابًا تامًّا. فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي: فما كان لقارون من جماعة أو عصبة تنصره من عذاب الله، بأن تدفعه عنه، أو ترحمه منه. وَما كانَ قارون مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ بل كان من الأذلين الذين تلقوا عقوبة الله– تعالى– باستسلام

(١) التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي٧/١٢٠ .

(٢) سورة القصص، الآية:٨١.

وخضوع وخنوع، دون أن يستطيع هو أو قومه رد عقوبة الله- تعالى-[١].

(٨) **المثوى:** وقد ورد ذكر **(المثوى)** في موضعين من سورة سيدنا يوسف عليه وسلام، وفي مشهدين من قصته: الأول في مرحلة طفولته، حيث يقول الله تعالى عن عزيز مصر: ﴿**وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾[٢]، و"(مثواه) من المثوى وهو مكان الإقامة والاستقرار. يقال: ثوى فلان بمكان كذا، إذا أطال الإقامة به. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ**﴾ أي مقيمًا معهم. أي: وقال الرجل المصرى الذي اشترى يوسف لامرأته: اجعلي محل إقامته كريمًا، وأنزليه منزلاً حسنًا مرضيًّا. وهذا كناية عن وصيته لها بإكرامه على أبلغ وجه؛ لأن من أكرم المحل بتنظيفه وتهيئته تهيئة حسنة فقد أكرم صاحبه. قال صاحب الكشاف: قوله: ﴿**أَكْرِمِى مَثْواهُ**﴾ أي: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريمًا، أي حسنًا مرضيًّا بدليل قوله بعد ذلك: ﴿**إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ**﴾. والمراد: تفقديه بالإحسان، وتعهديه بحسن الملكة، حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا، ساكنة في كنفنا. ويقال للرجل: كيف أبو مثواك وأم مثواك؟ لمن ينزل به من رجل أو امرأة، يراد: هل تطيب نفسك بثوائك عنده؟ وهل يراعى حق نزولك به؟... وقوله: ﴿**عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً**﴾ ... بيان لسبب أمره لها بإكرام مثواه. أي: عسى هذا الغلام أن ينفعنا في قضاء مصالحنا، وفي مختلف شئوننا، أو نتبناه فيكون منا بمنزلة لولد، فإني أرى فيه علامات الرشد والنجابة، وأمارات الأدب وحسن الخلق.

---

(١) التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي ١٠/٤٤٠.

(٢) سورة يوسف، الآية:٢١ .

قالوا: وهذه الجملة (أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) توحى بأنهما لم يكن عندهما أولاد"[١].

والموضع الثاني في مرحلة الشباب حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

والتقدير:" قال يوسف في الرد عليها: معاذ الله أن أفعل الفحشاء والمنكر، بعد أن أكرمني الله- تعالى- بما أكرمني به من النجاة من الجب، ومن تهيئة الأسباب التي جعلتني أعيش مُعَزَّزًا مُكرَّمًا، وإذا كان- سبحانه- قد حباني كل هذه النعم فكيف أرتكب ما يغضبه؟ وجوَّز بعضهم عودة الضمير في «إنه» إلى زوجها، فيكون لفظ ربي بمعنى سيدي[٣]. يقول الدكتور محمد أبو موسى في التعليق على هذين الخطابين: "وهذه كلمة جليلة صادرة عن نفس إنسانية راقية؛ لأن الذي معه غلام اشتراه للخدمة، وسيكون في بيته لهذه المهمة فما وجه قوله أكرمي مثواه ثم إن لم يقل لها أكرميه وإنما قال لها أكرمي مثواه والمثوى مكان الإقامة، وكأنه يوصيها ليس بإكرامه فحسب وإنما بإكرام المثوى الذي يعيش فيه وقد سمع يوسف الغلام هذه الوصية الجليلة وسكنت في قلبه وصرح بها في اللحظة الحرجة وقال للمرأة التي قال لها زوجها هذه الكلمة: ﴿**معاذ الله إن ربى أحسن مثواى**﴾[٤]"؛ فالكريم ابن الكريم ابن الكريم لا يتوقع منه غير هذا الأدب السامي الراقي النبيل.

(٩) العرش: وذلك في المشهد الختامي من قصة سيدنا يوسف حيث يقول الله تعالى خبرًا عن سيدنا يوسف: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ**

---

(١) التفسير الوسيط٧/٣٣٥ .

(٢) سورة يوسف، الآية:٢٣.

(٣) التفسير الوسيط٧/٣٣٩ .

(٤) من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم ص٢٦-٢٧، مكتبة وهبة سنة ٢٠٢١م .

﴿سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[١].

والمراد بالعرش في قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ السرير الذي يجلس عليه. أو المجلس. أي: وأجلس يوسف أبويه معه على السرير الذي يجلس عليه، تكريما لهما، وإعلاء من شأنهما. ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ أي: وخر يعقوب وأسرته ساجدين من أجل يوسف، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم على أنه لون من التحية، وليس المقصود به السجود الشرعي؛ لأنه لا يكون إلا لله- تعالى-... «وقال» يوسف متحدثًا بنعمة الله: يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا....أى: وقال يوسف لأبيه: هذا السجود الذي سجدتموه لي الآن، هو تفسير رؤياي التي رأيتها في صغرى. فقد جعل ربي هذه الرؤيا حقا، وأراني تأويلها وتفسيرها بعد أن مضى عليها الزمن الطويل. قالوا: وكان بين الرؤيا وبين ظهور تأويلها أربعون سنة[٢].

(١٠) المتكأ: وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَقالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾[٣]، روى الإمام الطبري: حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية عن علي، عن ابن عباس: (وأعتدت لهن متكأ) ، قال: مجلسًا. وحدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن أبي الأشهب، عن الحسن أنه كان يقرأ: (مُتَّكَآءً) ، ويقول: هو المجلس والطعام. أي أعدّت للنسوة مجلسًا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج؛ لأن السكين إنما تعد

(١) سورة يوسف، الآية:١٠٠.

(٢) تفسير الطبري١٦/٢٦٤، والتفسير الوسيط للشيخ طنطاوي٧/٤١٧.

(٣) سورة يوسف، الآية:١٠٠.

للأترج وما أشبهه مما يقطع به[١]، "أي: وهيأت لهن في مجلس طعامها، ما يتكئن عليه من الوسائد والنمارق وما يشبه ذلك. فالمتكأ: اسم مفعول من الاتكاء، وهو الميل إلى أحد الجانبين في الجلوس كما جرت بذلك عادة المترفين عند تناول الطعام، وعند ما يريدون إطالة المكث مع انتصاب قليل في النصف الأعلى من الجسم والاستراحة بعد الأكل[٢].

ثانيًا: أماكن مصرية جزئية دينية:

وهي (سيناء، وجبل الطور، والوادي المقدس طوى، وعيون موسى، وربوة ذات قرار ومعين)، وهاك بيانها:

(١) سيناء: لسيناء مكانة مقدسة عبر الرسالات السماوية؛ فقد ثبت تاريخيًّا أنها كانت معبرًا لأنبياء الله –عز وجل– إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وعيسى وأمه البتول، عليهم السلام. وقد ذكرت سيناء في القرآن الكريم ذكرًا طيبًا مباركًا، كما حضرت بأماكنها المباركة الخاصة في القرآن الكريم؛ فمعظم مشاهد قصة سيدنا موسى حادثة على أرض سيناء، وجبل (الطور)، و(الوادي المقدس طوى). وهاك بيان ذلك:

وقد وردت لفظة سيناء في موضعين من القرآن الكريم، هما:

١- قول الله تعالى: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ**﴾[٣] ف(سينين) هي أرض سيناء، و(الطور) هو الجبل أو المسجد الذى كلم الله عليه_ سيدنا موسى عليه السلام، وقد كلم الله موسى كلامًا حقيقيًّا–من وراء

---

(١) تفسير الطبري١٦/٧٠، وقد علق المحقق العلامة شاكر على هذه القراءة بقوله: "قراءة الحسن بالمد، آخره همز، ذكر هذه القراءة ابن خالويه في شواذ القراءات ص: ٦٣ عن الحسن، وذكرها أبو حيان في تفسيره ٥: ٣٠٢، ونسبها إلى الحسن وابن هرمز، وقال:" بالمد والهمز. وهي مفتعل، من الاتكاء، إلا أنه أشبع الفتحة فتولدت منها الألف".

(٢) التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي٧/٣٥٢-٣٥٣.

(٣) سورة التين، الآيتان: ١،٢.

حجاب– بصوت يسمعه موسى، عليه السلام؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تكليمًا**﴾(١)، والقسم بطور سينين، من الله تعالى–وهو –عز وجل– لا يقسم إلا بالعظيم من مخلوقاته– في خطابه هذا، دليل على عظمة هذا الجبل المنسوب والمضاف إلى سيناء الحبيبة المباركة.. وهذا الجبل «جبل الطور» الذي أكرمه الله بأن ناجاه موسى عليه، كما أن من خصائص هذا الجبل أن رفعه الله عز وجل فوق اليهود عندما خانوا العهد ولم يؤمنوا، فكان تخويفًا وإرهابًا لهم، فآمنوا ثم أعرضوا كعادتهم، فقال فيهم عز وجل: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**﴾(٢) .

٢– قول الله تعالى: ﴿ **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ**﴾(٣).

وفي هذا الخطاب القرآني الكريم إشارة إلى القيمة الاقتصادية العالية لسيناء، تلك البقعة الغالية المقدسة، ويبين ذلك شيخنا الدكتور السيد طنطاوي–رحمه الله– في تفسير هذا الخطاب القرآني الكريم بقوله: "أي: فأنشأنا لكم بسبب هذا الماء النازل من السماء، جناتٍ، وأنشأنا لكم بسببه – أيضًا – شجرة مباركة تخرج من هذا الوادي المقدس الذى كلم الله – تعالى – عليه موسى –عليه السلام– وهو المعروف بطور سيناء. أي: بالجبل المسمى بهذا الاسم في منطقة سيناء، ومكانها معروف. وكلمة سيناء – بفتح السين والمد على الراجح – معناها: الحسن باللغة النبطية. أو معناها: الجبل المليء بالأشجار . وقيل: مأخوذة من السنا بمعنى الارتفاع.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤..

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٣..

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٢٠.

وخصت شجرة الزيتون بالذكر؛ لأنها من أكثر الأشجار فائدة بزيتها وطعامها وخشبها، ومن أقل الأشجار –أيضًا– تكلفة لزارعها. وخص طور سيناء بإنباتها فيه، **مع أنها تنبت منه ومن غيره؛ لأنها أكثر ما تكون انتشارًا في تلك الأماكن، أو لأن منبتها الأصلي كان في هذا المكان، ثم انتقلت منه إلى غيره من الأماكن**، وقوله: ﴿تَنبُتُ بالدهن وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾ بيان لمنافع هذه الشجرة على سبيل المدح، والتعليل لإفرادها بالذكر.

وهذه الشجرة من مزاياها أنها تنبت مصحوبة وملتبسة بالدهن الذى يستخرج من زيتونها، **والمقصود بها:** شجرة الزيتون، وهي شجرة لا تكلف الإنسان ولا يعاني في زرعها، ولكن الله –عز وجل– يزرعها للإنسان فتخرج سريعة فيستفيد منها...[١].

(٢) جبل الطور: وقد ورد ذكر "جبل الطور" في الخطاب القرآني ثماني مرات، تنوعت سياقتها على النحو الآتي:

أشير في ثلاث مرات منها إلى معجزة قلب الجبل على بني إسرائيل حين جادلوا سيدنا موسى، عليه السلام: مرتين في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]، وفي قوله تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ﴾[٣]،

(١) راجع التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢١/١٠، طبع دار المعارف سنة ١٩٩٢م، وغيره من التفاسير.

(٢) سورة البقرة، الآية:٦٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٩٣.

ومرة في سورة النساء في قوله تعالى :﴿**وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ**﴾(١).

كما أشير في أربع آيات في الخطاب القرآني إلى مناداة الله تعالى سيدنا موسى بجانب هذا الجيل: مرة في سورة مريم، في قوله تعالى :﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾(٢)، ومرة في سورة طه في قوله تعالى: ﴿**وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**﴾(٣)، ومرتين في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿**آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا**﴾(٤)، وفي قوله تعالى :﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا**﴾(٥)، والله –جل وعلا– يصف منطقة الوحي في جبل الطور بأنها " بقعة مباركة "، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ**﴾(٦).

ثم كان القسم بجبل الطور، في مطلع سورة الطور:﴿وَالطُّورِ* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾(٧)، فقد افتتح الله– تعالى– هذه السورة الكريمة بالقسم بخمسة أشياء هي من أعظم مخلوقاته، للدلالة على كمال قدرته، وبديع صنعته، وتفرد ألوهيته.. فقال– سبحانه–: وَالطُّورِ والمراد به جبل الطور، والمشار إليه في قوله– تعالى–: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ﴾، ذلك

(١) سورة النساء، الآية:١٥٤.
(٢) سورة مريم، الآية ٥٢.
(٣) سورة طه، الآية ٨٠.
(٤) سورة القصص، الآية ٢٩.
(٥) سورة القصص، الآية ٤٦.
(٦) سورة القصص، الآية ٣٠.
(٧) سورة الطور، الآية ٢،١.

الجبل الذي قدسه الله بإنزال التوراة وتكليم موسى عليه السلام، واللوح المحفوظ الذي كتب سبحانه فيه كل مقادير الخلائق، والبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه مرة أخرى إلى قيام الساعة، والسماء المرفوعة بلا عمد كسقف هائل مرفوع بقوة الله، والبحار التي منعها الله تعالى من خاصية الإغراق واجتياح اليابسة، كل هذا بقدرة الله وقوته– أقسم تعالى بكل هذا على أن عذابه للكافرين والمجرمين واقع لا محالة، ما له من دافع يدفعه عنهم أو مانع يمنعهم منه(١).

وقد أشير إلى هذا الجبل مقرونًا بال التعريفية(الجبل) في مرتين في سرد مشهد من قصة سيدنا موسى القرآنية بسورة الأعراف: الأول في قول الله –تعالى–: ﴿**وَلَمّا جاءَ موسى لِميقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنى أَنظُر إِلَيكَ قالَ لَن تَرانى وَلـكِنِ انظُر إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ استَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوفَ تَرانى فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرّ موسى صَعِقًا فَلَمّا أَفاقَ قالَ سُبحانَكَ تُبتُ إِلَيكَ وَأَنا أَوَّلُ المُؤمِنينَ**﴾(٢)، والثاني في قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٣).

(٣) الوادي المقدس طوى: وقد ذكر من أماكن سيناء الخاصة الوادي المقدس طوى مرتين: الأولى في قول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ* إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾(٤)،

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٤/٣٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣، وورد في الآية ١٧١. راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٩م.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧١.

(٤) سورة طه، الآيتان: ١١–١٢.

الثانية في قول الله تعالى: ﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى *إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً *اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى *فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى *فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى...** ﴾[(١)]. وقد اختلف الجغرافيون واللغويون والمفسرون في تحديد هذا الوادي، بين أنه في جزيرة العرب أو في الشام، أو في مصرنا[(٢)]، وظاهر مدى الاتصال والتداخل الجغرافي بين شبه جزيرة سيناء، وشبه جزيرة العرب وبلاد الشام!

ويعد (الوادي المقدس طوى) من الأماكن المطهرة المقدسة العظيمة، وقد ذكر في جميع الشرائع السماوية، ومن خلال هذا الوادي تلقى موسى الوصايا من الله، ويذكر أنه يقع في مصر، في شبه جزيرة سيناء، وذكر أنه يقع في الجانب الأيمن من جبل الطور أو المسمى "جبل موسى"، أو المسمى "جبل حوريب"، وهو جبل يقع في شبه جزيرة سيناء في مصر، أو في أسفل جبل الطور. قال الإمام الطبري(ت٣١٠هـ): "حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (**بِالْوَادِى الْمُقَدَّسِ طُوًى**) قال: ذاك الوادي هو طوى، حيث كان موسى، وحيث كان إليه من الله ما كان، قال: وهو نحو الطور"[(٣)].

ويدل على بركة هذا المكان قول الماتريدي(ت٣٣٣هـ) في تفسيره: "المقدس: المطهر، ولعله سماه مطهرًا؛ لما لم يعبد عليه سواه ودونه، أو سماه: مطهرًا؛ لمعنى خُصَّ به؛ لفضل عبادة أو غيرها، على ما خصَّ بقاعًا

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ١٥-٢٠.

(٢) راجع: معجم البلدان لياقوت ٤٥/٤، وصفة جزيرة العرب للهمداني(ت٣٣٤هـ)ص٣،طبع ليدن سنة ١٨٨٤م، وفضائل مصر المحروسة للكندي (ت بعد سنة ٣٥٥هـ) ص١٠، المعجم الوسيط٥٧٢/٢، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١٤٢٨/٢ .

(٣) تفسير الطبري٢٨١/١٨.

بفضل عبادة تقام فيها من نحو المساجد والحرم وغيره"[١].

(٤) **عيون موسى**: هي عيون مائية عذبة، يعتقد أنها تعود إلى عهد النبي موسى، وتقع شرق محافظة السويس بالقرب من منطقة رأس سدر بجنوب سيناء بمصر.

وتمت الإشارة إليها عندما أصاب بني إسرائيل الظمأ ولم يجدوا ماء طلبوا من موسى أن يدعو ربه ليرزقهم الماء ليرتووا؛ فقال الله في ذلك عز وجل: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢].

وبتدبر هذه الخطابات القرآنية الكثيرة المتنوعة نرى أن ذكر الله تعالى لسيناء وأماكن منها في قرآنه المجيد تعظيم وتشريف لها، ومما يزيدها تشريفًا أكثر أن الله كلم سيدنا موسى –عليه السلام– على هذه الأرض وهي في سيناء وأنها نعتت بالمباركة، والمقدسة والمطهرة! مما جعل لسيناء مكانة كبيرة في ظلال الإسلام.

وهكذا حضرت مصر مكانًا عامًّا، ومكانًا جزئيًّا، وشاع هذا الحضور في الخطاب القرآني شيوعًا معبرًا عن مكانتها السامقة؛ فعلى أرضها تجلَّى الله تعالى، وعلى أرضها حياة سيدنا يوسف، وسيدنا موسى عليهما السلام! وقد تنوع حضورها في هذا الخطاب بين دلالة المنطوق، حيث ذكر الاسم صراحة، وبين دلالة المفهوم حيث ذكرها كنائيًّا، دالًّا على حالتها الحضارية والدينية والاجتماعية البارزة.

---

(١) تفسير الماتريدي(ت٣٣٣هـ)٢٧٢/٧، تح/د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠٠٥م.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

المبحث الرابع

مصرُ نيلاً في الخطاب القرآني

تمثل الحضور المصري في الخطاب القرآني من خلال نهر النيل أيما تمثل، حيث تتميز مصرنا به، وتحيا أرضها به؛ فنهر النيل جاذب منذ كان، وساحر مُذ وُجد، و ليس تقديس الفراعين الأولين إياه، بتنصيبه إلهًا للخير والسعادة، وتسميته "حابي"، وليست مقالة المؤرخ اليوناني الشهير (هيرودوت) قبل أربعة وعشرين قرنًا منصرمة: "إن مصر هبة النيل" مما يدل فقط على عظمة نهرنا! بل مما يدل على عظمة هذا النيل أجلى دلالة ما أشير إليه في الخطاب القرآني الكريم إشارات عديدة متنوعة.

إن مما يدل على عظمة نهر النيل وبركته وسموه أنه النهر الوحيد من أنهار الكون منذ وجد إلى أن تقوم الساعة، المذكور في قرآننا المجيد، وما يذكر في القرآن محفوظ بالحفظ الإلهي للقرآن، إن شاء الله؛ فقد ورد ذكر نهر النيل في القرآن الكريم في عدة مواضع إما تصريحًا(دلالة منطوق) أو تلميحًا(دلالة مفهوم)، و لم يُسَمَّ في القرآن نهر سواه: بلفظ (الماء) مرة، وبلفظ (اليم) مرة ثانية وبلفظ(الأنهار) مرة ثالثة، ولفظ (البحر) مرة رابعة،، وليس في الأرض نهرٌ يُسمَّى بحرًا غيره! وقد جاءت لفظة (اليم) ستَّ مراتٍ في القرآن الكريم، وقفًا على نهر النيل دون غيره من الأنهار.

وإن تدبر الخطابات القرآنية الكريمة التي أشير فيها إلى نهر النيل، بدلالة المفهوم، يدلنا على أن النيل آية دالة على قدرة الله المطلقة، ونعمة إلهية منه–عز وجل– على مصر وأهلها، كما جاء ذكر النيل تارة مفخرة لمصر، ثم جاء طورًا مَنْجًى للنبي والمؤمنين، ثم جاء مهلكًا للكافرين، ودمارًا للضالين المضلين؛ فقد فسر بعض المفسرين قول الله –تعالى– إخبارًا عن فرعون الذي حدد لسيدنا موسى –عليه السلام– موعدًا لمقابلة السحرة: ﴿**قَالَ**

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[١] أنه يعني الاحتفال بوفاء النيل كسر الخليج؛ إذ إن العادة قد جرت منذ القدم على أن اجتماع الناس لتخليق المقياس يكون في هذا الوقت. يقول الشيخ محمد أبو زهرة (ت١٩٧٤م): "مصر من قديم الزمان تحتفل فيه وتتزين سرورًا باطمئنانها على السقي والرعي، ولعل كليم الله موسى اختار ذلك اليوم؛ لأنه يكون فيه جمع حاشد، وفيه تذكير برحمة الله –تعالى– على مصر بهذا النيل السعيد، الذي يفيض رحمة من الله، فيكون الفصل في قضية الإيمان في زمان ومكان يكون نعمةُ الله سابغةً على مصر الزراعية"[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٣]، فسر بعض المفسرين هاتين الآيتين أن الجنان كانت بأرض مصر بحافتي النيل، من أوله إلى آخره، على الجانبين جميعًا، ما بين أسوان إلى رشيد[٤].

دلالة المنطوق عن النيل في الخطاب القرآني:

جاء ذكر اسم النيل بالأنهار في الخطاب القرآني الكريم دالاً على أنه سبب فخر مصر وعُلُوّها وأُبَّهتِها في قول الله–تعالى– على لسان فرعون: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥]؛ فالمقصود بالأنهار في هذه الآية هي نهر النيل وفروعه، حيث كانت أرض مصر في أيام فرعون عامرة بالقناطر والجسور بتدبير

(١) سورة طه، الآية ٥٩.

(٢) زهرة التفاسير ٩/٤٧٤٣، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان٥٨،٥٧.

(٤) متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ص ١٦، د. محمد الششتاوي، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م.

(٥) سورة الزخرف، الآية٥١.

وتقدير، حتى أن الماء كان يجرى تحت منازلهم وأقبيتهم فيحبسونه كيف شاءوا ويطلقونه حيث شاءوا. قال المفسرون: "لما خاف فرعون ميل القوم إلى موسى، فجمعهم ونادى بصوته فيهم مفتخرًا، أو أمر مناديًا ينادي بقوله: أليس لي ملك مصر العظيم، فلا ينازعني فيه أحد، والسلطة المطلقة لي، وأنهار النيل تجري من تحت قصري وبين يدي في جناتي، أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، وتستدلون به على أحقيتي بالسلطة وفرض النظام، وتنظرون إلى فقر موسى وضعفه هو وأتباعه عن مقاومتي؟!"[(١)]، وهذا دال على أن نهر النيل عظيم، ومن عظمته كان سببًا من أسباب فخر فرعون وكبره على قومه والآخرين!

النيلُ يُنعش ماؤُه مصرًا ونداه يُنعش أهلَها الغمْرُ!

كما جاء ذكر اسم النيل باليم في الخطاب بسورتي (طه والقصص) وسيلة إنقاذ لسيدنا موسى –عليه السلام–ومن معه من المؤمنين في قول الله تعالى في قصته: ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى .أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[(٢)]. وفي قوله –سبحانه وتعالي أيضًا–: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[(٣)].

فقد ذكر جمع من المفسرين أن المراد باليم هنا النيل بمصر؛ سمَّاه يمًّا وهو البحر؛ فقد خصه الله –سبحانه وتعالى– بلفظة (اليم)، التي تُطلَق أيضًا على البحار. قال مقاتل(ت١٥٠هـ): "يعني في نهر مصر وهو

(١) التفسير المنير للزحيلي١٦٦/٢٥.

(٢) سورة طه، الآيتان:٣٨،٣٩.

(٣) سورة القصص الآية٧ .

النيل"[١]، وروى الإمام الطبري عن السديّ، في قوله (فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ) وهو البحر، وهو النيل"[٢]. قال الإمام السمعاني(ت٤٨٩هـ): "وَقَوله: {فألقيه فِي اليم} اليم: الْبَحْر، وَالْمرَاد مِنْهُ هَاهُنَا على قَول جَمِيع الْمُفَسّرين هُوَ النّيل"[٣].

كما جاء ذكر نهر النيل باليم في الخطاب القرآني الكريم عقابًا للمتجبرين المتكبرين وأتباعهم ثلاث مرات: في قول الله تعالى عن فرعون وقومه وجنده: قوله تعالى:﴿**فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾[٥]، و في قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾[٦]، وذلك على رأي المفسرين القائلين بأن اليم في هذا الخطاب مقصود به نهر النيل، كمقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ): "يَقُولُ الله: فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ بلسان العبرانية يعني به البحر وَهُوَ نهر بمصر"[٧]، وفي تفسير الخازن(ت٧٤١هـ):" قال الزهري: اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب، ويقع اسم على البحر الملح والبحر العذب، ويدل على

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٧/٢، ٣٣٦/٣، تح/د/عبدالله شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت سنة ١٤٢٣هـ.

(٢) تفسير الطبري ٣٠٣/١٨ ، و٥٢٠/١٩.

(٣) تفسير القرآن للسمعاني ١٢٣/٤، تح/ ياسر إبراهيم غنيم، دار الوطن بالرياض ١٩٩٧م.

(٤) سورة الأعراف، الآية:١٣٦..

(٥) سورة القصص، الآية:٤٠..

(٦) سورة الذاريات، الآية:٤٠..

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان ٥٩/٢، ٤١١/١، ٣٤٦/٣، ١٣٢/٤.

ذلك قوله تعالى: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، والمراد به نيل مصر وهو عذب"[١]، ويفصل أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) الخلاف في هذا بقوله: "وألقته في اليم وهو اسم للبحر العذب. وقيل: اسم للنيل خاصة، والأول هو الصواب كقوله فأغرقناهم في اليم، ولم يغرقوا في النيل"[٢]. وفي هذا إشارة إلى الخلاف الواقع بين العلماء قديمًا وحديثًا حول مكان غرق فرعون بين البحر الأحمر أو نهر النيل. والغالب أنه نهر النيل.

كما جاء اسم النيل باليم في الخطاب في القرآن الكريم عذابًا ودمارًا للضالين المضلين، في سورة (طه) في قول الله –تعالى– عن السامري، ذلكم الأنموذج البشري العجيب للإنسان الضال المضل بعقله وعلمه ولسانه: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[٣].

مصر بحرًا في الخطاب القرآني:

ورد لفظ (**البحر**) في الخطاب القرآني أربعًا وثلاثين مرة، منها عشرة مواضع في قصة سيدنا موسى عليه السلام، وبتدبر سياقها والخطاب فيها ألحظ أن لفظة البحر جاءت في خمسة مواضع في موقف المواجهة مع فرعون وجنوده، وهي:

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين المعروف بالخازن٢/٢٤٢، ٢٧٩ تح أ/محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٥هـ، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين الشربيني ت٩٧٧هـ١/٥٠٩، طبع بولاق سنة ١٢٨٥هـ.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان٧/٣٣٠، تح/ صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت سنة ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة طه، الآية:٩٧.

-﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾(١).

-﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾(٣).

- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(٤).

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾(٥).

كما ورد لفظ (البحر) في موقف خاص ببني إسرائيل، وذلك عند إتيانهم قومًا يعكفون على أصنام، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٦).

كما ورد لفظ (البحر) عند الحديث عن القرية المجاورة للبحر، والمشرفة عليه– وهي أَيلة، وهي قرية بين مدين والطور، وهذا هو ما نقل عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وروي عن ابن عباس أيضًا أنه قال: هي قرية على شاطئ البحر، بين مصر والمدينة، يقال لها: "أيلة"... وقيل غير

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٠.
(٢) سورة يونس، الآية: ٩٠.
(٣) سورة طه، الآية: ٧٧.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.
(٥) سورة الدخان، الآية: ٢٤.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨..

ذلك[١]، في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٢].

كما ورد لفظ (البحر) عند الحديث عن قصة موسى والعبد الصالح، فعن ابن عباس–رضي الله عنهما– قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[٣]. قال: لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم الدار أنزل الله عليه أن (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) فخطب قومه، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة، وذكَّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون، وذكَّرهم هلاك عدوّهم، وما استخلفهم الله في الأرض، وقال:... [٤]. وقد حضر هذا اللفظ في ثلاثة مواضع بهذه القصة، غير الموضع الخاص بمقدمة القصة، وهي:

١– ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[٥].

٢– ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[٦].

٣–﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٧].

---

(١) تفسير الطبري١٣/١٨٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية:١٦٣..

(٣) سورة الكهف، الآية٦٠.

(٤) تفسير الطبري١٨/٦٧.

(٥) سورة الكهف، الآية٦١.

(٦) سورة الكهف، الآية٦٣.

(٧) سورة الكهف، الآية٧٩.

مجمع البحرين في الخطاب القرآني:

وردت الإشارة في ثلاثة مواضع قرآنية كريمة إلى أن في مصب نهر النيل بمصرنا المحروسة دلالةً على قدرة الله –تعالى–المطلقة في تسيير الكون؛ حيث الحديث عن ظاهرة فيزيائية عجيبة هي وجود حاجز أو فاصل بين المياه المالحة والمياه العذبة عند التقائهما في مكان ما، هذا الحاجز يحول دون حركة كل من الماءين باتجاه الآخر، فلا يمتزجان؛ مع أن مستوى الماء العذب أعلى من مستوى الماء المالح! وهذه المواضع الثلاثة هي:

﴿وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾(١).

وقوله: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٣) .

و(**مجمع البحرين**): المجمع: الملتقى، وهو اسم مكان، وهو الحاجز بين البحرين، أو هو موضع التقائهما أيضًا، ولعل المقصود بهما التقاء خليج العقبة بخليج السويس أو التقاءُ أحد فروع النيل القديمة بالبحر الأبيض، وهذا الحاجز بين البحرين لحكمة من الله تعالى فيه منافع للناس وفيه عظيم قدرة الله تعالى الذي منع اختلاط ماء البحرين. والحاجز بين البحرين المالح والعذب من خصائص ربوبية الله تعالى. ولعل المراد بمجمع

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٣..

(٢) سورة النمل، الآية: ٦١.

(٣) سورة الرحمن، الآيات:١٩-٢١.

البحرين التقاءُ خليج العقبة بخليج السويس أو أحد فروع النيل السبعة القديمة بالبحر الأبيض في دلتا النيل، وعلى أي حال فتحديد المكان لا يتعلق به كبير غرض. وقيل: مجمع البحرين: إما في أرض فارس من وراء أذربيجان، وإما عند طنجة أو بأفريقية أو حيث يجتمع بحر ملح وبحر عذب(١).

وقال الشيخ طنطاوي: "قال الآلوسى: .. والبحران: بحر فارس والروم، كما روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما وملتقاهما: مما يلي المشرق ولعل المراد مكان يقرب فيه التقاؤهما.. وقيل البحران: بحر الأردن وبحر القلزم..» . وقال بعض العلماء: والأرجح –والله أعلم– أن مجمع البحرين: بحر الروم وبحر القلزم. أي: البحر الأبيض والبحر الأحمر. ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح. أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر. فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وعلى أية حال فقد تركها القرآن مجملة فنكتفى بهذه الإشارة». والمعنى: واذكر– أيها الرسول الكريم– لقومك لكي يعتبروا ويتعظوا وقت أن قال أخوك موسى– عليه السلام– لفتاه يوشع بن نون، اصحبني في رحلتي هذه فإني لا أزال سائرًا حتى أصل إلى مكان التقاء البحرين، فأجد فيه بغيتي ومقصدي(٢).

وبعض المفسرين يرى أن الحاجز ما يشاهد من نهر النيل مثلاً يصب في البحر الأبيض وهو ملح، ومع هذا يظل ماء النيل سائرًا في الملح مسافة وهو محتفظ بخاصيته، وهذا من نعم الله التي أنعم بها على خلقه؛ فللماء العذب فوائد كلنا يعرفها، وللماء الملح فوائد لا تخفى في تربية بعض

---

(١) التفسير الوسيط ٨٩٧/٥، طبع مجمع البحوث ١٩٩٣م، والتفسير الوسيط للزحيلي ١٤٤١/٢، دار الفكر بدمشق ١٤٢٢هـ.

(٢) التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي ٥٤٧/٨.

الأسماك والأصداف والأحجار الكريمة كاللؤلؤ والمرجان. ولقد أثبت العلم الآن أن للمحيطات وملحها أثرًا كبيرًا في حياة الناس ولو كانت عذبة لفسد الجو(١). وتقع هذه الظاهرة في مدينة «رأس البر» بمحافظة دمياط؛ حيث يرتمي ضلعها الشرقي على نهر النيل، والغربي يتوسد البحر المتوسط، فتمتزج مياه النهر العذبة بمياه البحر المالحة، في منطقة تعرف بـ«اللسان»، في مشهد جمالي جذاب فريد من نوعه، مميز عن سائر مجامع التقاءات الأنهار بالبحار في العالم كله.وليس للنيل خصوصية في هذا الأمر فهذه الحالة الجغرافية موجودة في مناطق مائية كثيرة من الكرة الأرضية!

وفي خواتيم سورة السجدة إشارة طريفة إلى أن نهر النيل نعمة إلهية عظيمة على أرض مصر وأهلها، حيث يقول الله –تعالى–: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ**﴾(٢)، قال كثير من المفسرين: المقصود بهذا الماء النيل، والمفسرون الذين قالوا: ليس مقصودًا به خصوص النيل، قالوا: إن أعظم مثال تتجلى فيه هذه النعمة هو النيل في مصر. حيث يسوق الله –تعالى– إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضًا، لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان

---

(١) التفسير الواضح٢/٧٣٢، د/محمد محمود حجازي، نشر دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٣هـ، وراجع: مجاز القرآن لأبي عبيدة٢/ ٧٧، ومفاتيح الغيب للرازي ١٦٩/٤، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني٢٥٦/١، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأرمي العلوي/٦١، وتفسير الشيخ المراغي١١٢/٢٧.

(٢) سورة السجدة، الآية٢٧.

الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء[١].

والذي يعضد مضمون هذه الرؤية عن مستقبل المياه بمصر ثلاثة خطابات قرآنية إلهية محكمة، تدل على أن الله –تعالى– خالق الماء، نزله من السماء بقدر، وأنه صرَّفه بين الناس بتقدير، وهذه الآيات هي قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[٢]، و قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[٣]، وقوله: ﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[٤]، وهذا من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، من خلال ما يسمى علميًّا دورة الماء في الطبيعة[٥].

وقد اختلف في تفسير لفظ (البحر) في هذه الآيات بين كونه البحر الأحمر على الأرجح أو نهر النيل، علي رأي مرجوح. ولعل المراد بمجمع البحرين التقاءُ خليج العقبة بخليج السويس أو أحد فروع النيل السبعة القديمة بالبحر **الأبيض في دلتا النيل، وعلى أي حال فتحديد المكان لا يتعلق به كبير غرض.**

وهذا الحضور البارز لنهر النيل (يَمًّا) أو (بَحْرًا) في الخطاب القرآني الكريم يشير إلى أنه نهر مبارك معطاء محفوظ إلهيًّا إن شاء الله؛ فهو مصدر راحة، ومصدر سعادة، ومكان نجوًى، ومكان حوار، إنه نهر كان سببًا في تعمير مصرَ القطر، ومصرَ الموقع الجغرافي، ومصرَ الزراعية، ومصرَ

---

(١) تفسير القرطبي١٤/١١١، وتفسير ابن كثير٦/٣٣٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١١.

(٥) مبادئ الطقس والمناخ ص٢١، د. قصي السامرائي، طبع سنة ٢٠٠٧م.

التجارية، ومصرَ السياحية، وجعل أفئدة الناس تهوي إليها، فأقام في هذه البقعة شعبًا. إنه نبع حياة ونبع إحياء، وصدق من قال: إن مصر هبة النيل، وأزيد: إنه سلوى المصريين: في صيفهم وشتائهم وربيعهم وخريفهم، وكل حياتهم، ومن ثم غنى له المصريون وأشعروا فيه، واحتفوا بأحواله، عبر الأزمنة المديدة، حتى قال قائلُهم:

مصرٌ ومصرٌ شأنها عجيبُ ∴ ونيلُها تَجري به الجَنوبُ

المبحث الخامس

أنماط الخطاب القرآني عن المكان المصري

بتدبر الآيات القرآنية الكريمة، التي حضر فيها المكان المصري عامًّا وجزئيًّا، والتي استشهد بها في المباحث الأربعة السابقة، نجد أن الخطاب فيها تنوع إلى أنماط خطابية عدة، تمثلت في الأنماط الآتية:

أولاً: الخطاب باعتبار القائل:

يتنوع الخطاب القرآني في سياق الحديث عن الأماكن المصرية إلى خطاب إلهي، وآخر بشري، وهذا الخطاب البشري قد يكون نبويًّا، وقد يكون فرعونيًّا، وقد يكون على لسان بشر حياتيين واقعيين، وقد يكون نسائيًّا. وبيان ذلك على النحو الآتي:

الخطاب الإلهي:

وهو الخطاب الصادر من الله تعالى مباشرة إلى خلقه، سواء عامة البشر أو خاصتهم من أنبياء أو رسل، أو غيرهم؛ فالخطاب من الله –تعالى– يتوجه إلى الخلق جميعًا، في قوله –تعالى– مبشرًا ومطمئنًا كل مؤمن مجاهد مستضعف في سبيله جل وعلا: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

وقد يكون الخطاب الإلهي خبرًا عن سيدنا موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[2]، ﴿وَمَا

(١) سورة القصص، الآيتان:٥-٦.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٢.

كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾[١]، و في قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً)[٢]، وقد يكون الخطاب خبرًا عن فرعون كما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾.

وقد يكون خطابًا إلهيًّا إلى موسى –عليه السلام– وإلى قومه– كما في قوله تعالى مبشرًا المؤمنين ومحذرًا الفاسقين المكذبين: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[٣].

كما قد يكون الخطاب الإلهي سردًا قصته –عليه السلام –كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى .أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[٤]، **وفي قوله –سبحانه وتعالي أيضًا–:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٥]...إلخ

<u>وقد يكون الخطاب من الله –تعالى– إلى بني إسرائيل في مقام تعديد النعم والتذكير بفضل الله –عز وجل– في بداية القصص القرآني الخاص</u>

(١) سورة القصص، الآية ٤٦.

(٢) يونس، الآية٨٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة طه، الآيتان:٣٩،٣٨.

(٥) سورة القصص الآية٧ .

ببني إسرائيل، كما في قوله تعالى :﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**﴾[١]، وكما في قوله تعالى :﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٢]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ**﴾[٣]، و في قوله تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ....** ﴾[٤]، وفي **قوله تعالى:** ﴿**وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**﴾[٥]، وفي قوله تعالى معلقًا على عاقبة فرعون وجنده المغرقين: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**﴾[٦]، وفي قوله تعالى داعيًا إلى الاعتبار والاتعاظ: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ**﴾[٧].

وقد يأتي الخطاب الإلهي موجهًا إلى الأشخاص السلبيين تحذيرًا وتهديدًا كما في قوله تعالى مخاطبًا قارون: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٨]، و في قوله مخاطبًا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٣..

(٢) سورة البقرة، الآية:٦٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٩٣.

(٤) سورة النساء، الآية:١٥٤.

(٥) سورة طه، الآية ٨٠.

(٦) سورة الدخان، الآيات٢٥-٢٧.

(٧) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٨) سورة القصص، الآية٧٧.

السامري: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾(١).

الخطاب النبوي:

ويتنوع هذا الخطاب البشري إلى خطاب نبوي وآخر غير نبوي، فالخطاب النبوي جاء في قصتي سيدنا يوسف وسيدنا موسى عليهما السلام، كما في قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف–عليه السلام–مخاطبًا أهله: ﴿وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾(٢)، وقوله مخاطبًا ملك مصر: ﴿قالَ اجعلْنى على خزائنِ الأرضِ إنِّى حفيظٌ عليم* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣)، و في قوله على لسان سيدنا موسى –عليه السلام–: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ* قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٥).

---

(١) سورة طه، الآية:٩٧.

(٢) سورة يوسف، الآية٩٩.

(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٥٥–٥٦.

(٤) سورة الأعراف، الآيات: ١٢٨–١٣٠.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٨.

الخطاب الفرعوني

وقد يكون الخطاب فرعونيًّا مستبدًّا مستكبرًا كما قوله تعالى على لسان فرعون مخاطبًا قومه خطابًا فخريًّا: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(١)، وقوله على لسان فرعون أيضًا: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾(٣)، وقوله تعالى على لسان فرعون مخاطبًا سيدنا موسى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾(٤).

ومما يتصل بالخطاب الفرعوني قوله تعالى على لسان الملأ من قوم فرعون: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾(٥)، و قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾(٦)، وقوله: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٥١.

(٢) سورة غافر، الآية٢٦.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان ٣٤-٣٥.

(٤) سورة طه، الآيات٥٧-٥٩.

(٥) سورة الأعراف، الآية١٢٧.

(٦) سورة الأعراف، الآيتان:١٠٩-١١٠.

لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾(١).

الخطاب الحياتي:

وجاء الخطاب البشري على لسان بشر طبيعيين، يتحدثون في أمور حياتية واقعية كما في قوله تعالى على لسان عزيز مصر: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، وفي قوله على لسان إخوة موسى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾(٣)، وفي قوله تعالى على لسان أخي يوسف: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾(٤)، **وقد يكون الخطاب نسائيًا، كما في قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾(٥).

ثانيًا: الخطاب القرآني باعتبار الأسلوب:

جاء الخطاب القرآني باعتبار الأسلوب خطاباً سردياً، وهو الشائع الغالب؛ نظرًا لحضور المكان المصري في قصتي يوسف وموسى عليهما

(١) سورة طه، الآية٦٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٧٣-٧٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٥) سورة يوسف، الآية٣٠.

السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمّا جاءَ موسى لِميقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنى أَنظُر إِلَيكَ قالَ لَن تَرانى وَلـكِنِ انظُر إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ استَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوفَ تَرانى فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرّ موسى صَعِقًا فَلَمّا أَفاقَ قالَ سُبحانَكَ تُبتُ إِلَيكَ وَأَنا أَوَّلُ المُؤمِنينَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ* إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[3]، وقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى *إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً *اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى *فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى*فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى... ﴾[4]، وقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[5]، وقول الله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[6]، وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٣، وورد في الآية ١٧١. راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٩م.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧١.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١١-١٢.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ١٥-٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٦) سورة العنكبوت، الآيتان: ٣٩-٤٠.

فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِى صَرْحًا لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[١]...إلخ

كما جاء الخطاب القرآني حجاجيًّا في وصف مواطن الصراع بين سيدنا موسى وفرعون، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِى الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقوله تعالى على لسان رجل مؤمن من آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٤]، وقوله ساردًا مشهد دخول سيدنا موسى المدينة: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ* قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ *

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية٥١.

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٧٧–٧٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٩.

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]...إلخ

وتوجد خطابات خبرية، غير سردية ولا حجاجية، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾[3]، وقول الله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾[4]، و﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[5]، ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾[6].

وقد تنوع الاستهلال بالخطاب القرآني في الحديث عن مصر

بين الاستهلال بأسلوب القسم كما في أول سورة الطور، وأول سورة التين، وبأسلوب الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، **وقوله:** ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، وبأسلوب الأمر كما في المشاهد القصصية البادئة بلفظ(إذ) أي واذكر إذ...، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ... ﴾، وبأسلوب القول المقرون بالنداء كما في

(١) سورة القصص، الآية١٨.
(٢) سورة ص، الآيات: ١٢.
(٣) سورة الفجر، الآيات: ٩-١٠.
(٤) سورة التين، الآيتان: ١،٢.
(٥) سورة الطور، الآية ١،٢.
(٦) سورة المؤمنون، الآية ٢٠.

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى... ﴾، **والمقرون بالاستفهام في قوله:** ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ...﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا...﴾، **والاستهلال بأسلوب الشرط كما في قوله تعالى:** ﴿وَلَمّا جاءَ موسى لِميقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنى أَنظُر إِلَيكَ.... ﴾، وقد يكون الاستهلال استئنافيًّا كما في سرد قصة قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيهِم... ﴾، **وهذا التنوع الاستهلالي دال على تنوع الخطابات والقصص والسياقات والدلالات، وقد دُرِس دراساتٍ متنوعةً في البحوث الخاصة بالقصة القرآنية الكريمة.**

الخطاب الاحتمالي التأويل:

تنوع الخطاب القرآني عن مصر إلى قطعي الدلالة في التعبير عن مصر مكانًا عامًّا، ومصر مكانًا جزئيًّا، كما في الكم الكثير من الآيات المذكورة في هذا البحث. وقد وجد خطاب قرآني احتمالي التأويل في التعبير عن مصر، ويتمثل في الحديث عن تعابير (الأرض المقدسة)، و(أرض التيه)، و(الأرض الجرز)، و(ربوة ذات قرار ومعين)! حيث وجدت مجموعة خطابات قرآنية فُسِّرت فيها لفظة (الأرض) على أنها مصر، وهي تفسيرات غير يقينية ولا راجحة، بل هي مرجوحة، وذلك في المواضع القرآنية الآتية:

(٢) **الأرض المقدسة**: وذلك في قوله على لسان موسى–عليه السلام– مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ

رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1]، وهي الأرض المطهرة المباركة، واختلفت الآثار في تفسير الأرض المقدسة بين القول: إنها الطور بمصرنا، أو إنها الشام، أو إنها أريحا! قال الإمام الطبري (ت٣١٠هـ):" اختلف أهل التأويل في الأرض التي عناها بـ﴿الأرض المقدَّسة﴾. فقال بعضهم: عنى بذلك الطورَ وما حوله. وروي عن مجاهد أنه قال : ﴿الأرض المقدسة﴾ الطور وما حوله، وروى عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس:" ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾، قال: الطور وما حوله... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى- صلى الله عليه- لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به. **غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسّير والعلماء بالأخبار على ذلك**[2]. **وإن كان المشهور أنها أرض فلسطين عامة أو بيت القدس خاصة.**

(٢) أرض التيه: وذلك في قول الله تعالى مخاطبًا سيدنا موسى -عليه السلام-﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ﴾[3].

وهي أرض تقع بين مصر والشام، تمتد على ساحل البحر الأحمر من بيداء فلسطين مما يلي حدود مصر، وفيها كان الاستسقاء بلا خوف. **قال الإمام**

(١) سورة المائدة، الآيات:٢١-٢٣.

(٢) تفسير الطبري١٠/١٦٧-١٦٨.

(٣) سورة المائدة، الآية:٢٦.

ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية: "لما دعا عليهم موسى عليه السلام، حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرا مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينًا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد...[١].

وفي قول الله تعالى: ﴿ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ** ﴾[٢]. **وقال ياقوت الحموي** (ت٦٢٦هـ) في معجمه: "وهو الموضع الذي ضلّ فيه موسى بن عمران، عليه السلام، وقومه، وهي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام، ويقال: إنها أربعون فرسخًا في مثلها، وقيل: اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ وإياه أراد المتنبّي بقوله:

ضربت بها التيه ضرب القما ∴ ر، إمّا لهذا وإما لذا

والغالب على أرض التيه الرمال، وفيها مواضع صلبة، وبها نخيل وعيون مفترشة قليلة، يتصل حدّ من حدودها بالجفار وحدّ بجبل طور سينا وحدّ بأرض بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وحدّ ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حد القلزم، ويقال: إن بني إسرائيل دخلوا التيه وليس

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(ت٧٧٤هـ)٢/٥٣٩، تح/محمد حسين شمس الدين،، دار الكتب العلمية سنة ١٤١٩هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

منهم أحد فوق الستين إلى دون العشرين سنة، فماتوا كلهم في أربعين سنة[١]".

(٣) أرض النجاة والاستخلاف: وذلك في قوله تعالى عن فرعون: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[٢]، وقول الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[٣]، والأرض الأولى في هذين الخطابين هي مصر وهي أرض المهرب والنجاة والخروج، والأرض الثانية هي فلسطين وهي أرض اللجوء والاستقرار والاستخلاف!

وهذا الخطاب يكاد يؤسس لمعنى جديد أشير إليه في الخطاب السابق، وهو أن بدء التمكين لأهل الحق يكون في مصر، وأن خذلان أهل الباطل ودحرهم، يبدأ من مصر، وهو بشارة إلهية حدثت ماضيًا وتحدث في كل زمان إن شاء الله! وكذا في قول الله تعالى على لسان سيدنا موسى -عليه السلام-: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ

(١) معجم البلدان ٢/٦٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٣-١٠٤.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٥-٦.

﴿فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١]، "ويستفاد من الخطاب في هذه الآية الكريمة زيادة الثمرات في أرض مصر طبيعة فيها، إلا أن تكون ثمة عقوبة من الله لأهلها[٢]"، أي إن الأرض لله، لعل الله أن يورثكم = إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد = أرضَ فرعون وقومه، بأن يهلكهم، ويستخلفكم فيها، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، يقول: والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه، فخافه باجتناب معاصيه وأدَّى فرائضه... ثم يقول لقومه: لعل ربكم أن يهلك عدوكم: فرعون وقومه، ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾، يقول: يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم، لا تخافونهم ولا أحدًا من الناس غيرهم، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، يقول: فيرى ربكم ما تعملون بعدهم، من مسارعتكم في طاعته، وتثاقلكم عنها"[٣]. وفي هذا الخطاب أتت لفظة الأرض الأولى مقصودًا بها مصرنا، ولفظة الأرض الثانية مقصودًا بها فلسطين المباركة!

وفي هذا الخطاب القرآني القصصي من قصة نبي الله موسى–عليه السلام– إشارة أيضًا إلى أن أرض مصر، وأرض فلسطين، شهدتا–وتشهدان إلى يوم القيامة– الصراع بين الحق والباطل، وأنهما مرزوقتان بالعباد المؤهلين لوراثة (الأرض) والاستخلاف من الله –تعالى– في عمارتها... و"من شرف مصر أن شاركت فلسطين في التعبير عنها بالأرض قال تعالى في حق أرض فلسطين: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٢٨–١٣٠.

(٢) من تعليق الأستاذ الدكتور محمد فكري الجزار، أستاذ النقد الأدبي المتفرغ بكلية الآداب، بجامعة المنوفية، ومحكم هذا البحث، حفظه الله.

(٣) تفسير الطبري١٣/٤٣.

﴿ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1]، فلما كانت تلك المشاركة شاركت مصر فلسطين في البركة[2]".

(٤) **الأرض الجرز**: وذلك في قول الله تعالى مقررًا قدرته المطلقة في سوق الماء، وفي أثره الطيب في الأرض –على رأي في تفسيرها–: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾[3]. **قال الإمام ابن كثير** (ت٧٧٤هـ):" يذكر تعالى نعمه على عبيده، التي لا تعد ولا تحصى، في إنزاله القطر من السماء {بقدر} أي: بحسب الحاجة، لا كثيرا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرا لزرعها ولا تحتمل دمنتها إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، كما في أرض مصر، ويقال لها: ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طينا أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه، لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور. وقوله: ﴿فأسكناه في الأرض﴾ أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعلنا في الأرض قابلية له، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى"[4]. **وهذا التخصيص للعام في الخطاب القرآني لا يمنع من وجود**

---

(١) سورة الإسراء، الآية:١.

(٢) من تعليق الأستاذ الدكتور محمد فكري الجزار، أستاذ النقد الأدبي المتفرغ بكلية الآداب، بجامعة المنوفية، ومحكم هذا البحث، حفظه الله.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٤) تفسير ابن كثير٥/٤٧٠.

أرض أخرى غير مصر يمكن أن توصف بهذا الوصف وأن ينطبق عليها هذا الحكم، ويعني أيضًا أن مصرنا من أميز أماكن العالم التي يناسبها هذا الحكم الإلهي؛ حيث تميز نهر النيل عن بقية أنهار العالم بانطلاقه من الجنوب حيث المنبع، إلى الشمال حيث المصب، وهذا ما يناسب القدرة الإلهية التي يدل عليها الفعل المنسوب إلى ضمير الذات الإلهية (نسوق).

(٥) ربوة ذات قرار ومعين: ويعبر عن مصر –عبر تأويل احتمالي ظني من بعض المفسرين– بتعبير(ربوة ذات قرار ومعين) في قول الله تعالى في خطاب إلهي عن قصة سيدنا عيسى بن مريم، عليهما السلام: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[١] ، قال الإمام الطبري:" حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال: ثنا ابن بكير، قال: ثنا الليث بن سعد، قال: ثني عبد الله بن لهيعة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب في قوله: **(وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)** قال: إلى ربوة من رُبا مصر قال: وليس الرُّبَا إلا في مصر، والماء حين يُرسَل تكون الربا عليها القرى، لولا الربَا لغرقت تلك القرى[٢]. وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية، قال: هي مصر،... وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق، من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس: أن عيسى كان يرى العجائب في صباه إلهامًا من الله، ففشا ذلك في اليهود، وترعرع عيسى، فهمت به بنو إسرائيل، فخافت أمه عليه، فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر؛ فذلك قوله

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

(٢) تفسير الطبري ٣٨/١٩، وراجع تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (ت١٩٧هـ) ١٦٢/٢تح/ميكلوش موراني، دار الغرب سنة ٢٠٠٣م.

تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾؛ قال: يعني مصر[١]. ويعني بالقرار الأرض المستوية والساحة الواسعة، والمعين: الماء الظاهر لعين الناظر[٢]. وهذا التفسير مرجوح؛ [٣] فمصر ليست ربوة، بل هي مهاد بين سلسلة جبال، ولو صح خبر مجيء العائلة المقدسة إليها فهم جاءوا إلى الوادي!

(٦) مُبَوَّأَ صِدْقٍ: وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ﴾[٤]. قيل: عني بذلك الشأم وبيت المقدس. وقيل: عُنِي به الشأم ومصر. روى الإمام الطبري عن الضحاك، قال: (مبوّأ صدق)، قال: منازل صدق، مصر والشأم[٥].

و"قوله: بَوَّأْنا أي: أنزلنا وأسكنَّا، من التبوء، وهو اتخاذ المباءة أي: المنزل والمسكن. وفي إضافة (المبوأ) إلى (الصدق) مدح له؛ فقد جرت عادة العرب على أنهم إذا مدحوا شيئًا أضافوه إلى الصدق فقالوا: رجل صدق إذا كان متحليًّا بمكارم الأخلاق. قال الآلوسى: «والمراد بهذا المبوأ، كما رواه ابن المنذر وغيره عن الضحاك: الشام ومصر، فإن بنى إسرائيل الذين كانوا في زمان موسى- عليه السلام- وهم المرادون هنا، ملكوا ذلك حسبما ذهب إليه جمع من الفضلاء، وأخرج أبو الشيخ وغيره عن قتادة أن المراد به الشام وبيت المقدس، واختاره بعضهم، بناء على أن أولئك لم يعودوا إلى مصر

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ذكر المواضع التي ذكر فيها اسم مصر صريحًا أو كناية١/٥. وراجع الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي٦/١٠٠، دار الفكر ببيروت.

(٢) تفسير الثعلبي (ت٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٧/٤٩، تح أبي محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، سنة ٢٠٠٢م.

(٣) من تعليق الدكتور كاظم الظواهري محكم البحث، حفظه الله تعالى.

(٤) سورة يونس، الآية٩٣.

(٥) تفسير الطبري١٥/١٩٨.

بعد ذلك. وينبغي أن يراد ببني إسرائيل على القولين، ما يشمل ذريتهم بناء على أنهم ما دخلوا الشام في حياة موسى–عليه السلام إنما دخلها أبناؤهم– بقيادة يوشع بن نون. وقيل: المراد به أطراف المدينة إلى جهة الشام، وببني إسرائيل الذين كانوا على عهد نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم(١).

ثالثًا: الخطاب باعتبار نظام الحكم:

إن مصر في هذه الخطابات القرآنية المجيدة من حيث نظام الحكم وطريقته **نوعان: (مصر اليوسفية)** التي تشهد رقيًّا حضاريًّا وتقدمًا مدنيًّا وحجاجًا دينيًّا متحضرًا، وتشهد تنوعًا بشريًّا متناغمًا، وتشهد تنقلات سياسية عجيبة ازدهارًا وانكسارًا، مصر بكل أنواعها وألوانها وأطيافها، وأحوالها، مصر القوية، مصر الناهضة، مصر الجاذبة، مصر المنفتحة، مصر المنطلقة. **(مصر الفرعونية)** التي جاءت مكان الكفر والعلو والاستكبار والإسراف، والظلم والاضطهاد... إنها حقًّا –في ظلال رسالة الله تعالى– مكان مبارك، ومكان مطهر، ومكان آمن، ومكان خصب، ما دام يقودها بشر صالحون مصلحون حريصون عليها، مُعمِّرون إياها بالعلم والقوة والأمانة والحفظ، وستكون في ظل هذا النظام المبني على الصلاح والإصلاح في خير، وإلى خير، بحول الله تعالى وقوته!

وما أدل قول ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في معجمه عن مصرنا: "وهي اليوم أطيب الأرضين ترابًا وأبعدها خرابًا، لن تزال فيها بركة ما دام في الأرض إنسان، قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**﴾(٢)، هي أرض مصر، إن لم يصبها مطر زكت وإن أصابها أضعف زكاها(٣).

(١) التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي١٢٩/٧.

(٢) سورة البقرة، الآية:٢٦٥.

(٣) معجم البلدان١٣٧/٥.

وفي قراءة حديث القرآن الكريم عن سيدنا يوسف وسيدنا موسى عليهما السلام دلالة على ذلك، ولعل ذلك ظهر بجلاء في كتاب شيخنا العلامة الدكتور محمد أبوموسى، في كتابه الأحدث، المعنون بـ: **(من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم)**.

الخاتمة:

بعد هذه السياحة مع مصر مكانًا في ظلال الخطاب القرآني المجيد، يمكنني أن أخلص إلى الأفكار الآتية:

- حضرت لفظة(مِصْر) في شعرنا العربي القديم منذ الجاهلية، كما حضرت في معاجمنا العربية القديمة والحديثة، منذ معجم العين للخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ) ومرورًا بمعاجم العصور الوسطى: القاموس واللسان والتاج، وانتهاءً بمعاجم العصر الحديث، وهو حضور بارز متنوع: مكانًا وإنسانًا، وتاريخًا وحضارةً وآثارًا، وقد عُنِي المعجميون العرب بكثير من أماكن مصر ولغاتها ولهجاتها.
- تزدان مصرنا بالإسلام، وتشرف بذكرها وأهلها وآثارها في القرآن الكريم؛ فمصرنا مكانًا وإنسانًا ومجتمعًا من أكثر الأماكن حضورًا في القرآن الكريم، في قصص سيدنا يوسف، وسيدنا موسى، عليهما السلام... وهو ذكر تاريخي صادق، فيه إشارة إلى إيجابيات الشخصية المصرية الكثيرة، وسلبياتها المعدودة، ومعالم حضارتنا العريقة، ذكر يحتاج إلى مزيد من الدراسات المتعمقة، الجامعة بين تخصصات علمية عدة من شأنها أن تجلي هذه الحياة البشرية العتيقة على أرضنا، من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وكلام المؤرخين والجغرافيين والأثريين!
- تنوع ذكر مصر في الخطاب القرآني بين المكان العام والمكان الخاص؛ ففي المكان العام عبر عنها باسمها المعروف عالميًّا منذ فجر التاريخ، كما عبر عنها بلفظ (الأرض) في أربعة وثلاثين موضعًا. أما المكان الخاص فقد أشير إلى مصرنا بلفظ (المدينة) خمس مرات، وبلفظ (المدائن) ثلاث مرات، وبلفظ(البلاد) مرة،

وبلفظ(سينين)، وبلفظ(سيناء)، وبلفظ (الطور)، وبلفظ(الوادي المقدس طوى)، وبلفظ(الأوتاد)، وبلفظ(صرح) وبألفاظ: (اليم)، و(الأنهار)، و(البحر)؛ تعبيرًا عن نيلنا العظيم الخالد إن شاء الله تعالى.

- بعض الإشارات إلى مصرنا في الخطاب القرآني الكريم احتمالي وليس يقينيًّا، على النحو الذي نراه في موقف المفسرين من تأويل بعضهم لفظ الأرض في بعض الخطابات القرآنية بأنه الأرض المقدسة، وأرض التيه، وأرض الاستخلاف، والأرض الربوة ذات القرار والمعين!.
- تنوع هذا الذكر، في الخطاب القرآني، لمصرنا، في دلالاته الحضارية، بين البركة، والقدسية، والجمال، والأمن والقوة الاقتصادية، والتمكين لأهل الحق، ودحر أهل الباطل.
- تنوع الخطاب القرآني عن الأماكن المصرية بين خطاب إلهي، وخطاب نبوي كريم على لسان سيدنا يوسف أو سيدنا موسى عليهما السلام، أو خطاب بشري على لسان فرعون أو الملأ من قومه أو قومه أو سحرته أو مؤمن آل فرعون أو رجل من أقصى المدينة، أو إخوة يوسف أو العزيز أو الملك!.
- ذكرت سيناء في الخطاب القرآني الكريم ذكرًا طيبًا مباركًا، كما حضرت بأماكنها المباركة الخاصة في القرآن الكريم؛ فمعظم مشاهد قصة سيدنا موسى حادثة على أرض سيناء، لا جبل (الطور)، و(الوادي المقدس طوى). كما أنها نعتت في هذا الخطاب بالمباركة، والمقدسة والمطهرة! **مما جعل** لسيناء مكانة كبيرة في الإسلام.

- أشير إلى نهر النيل في الخطاب القرآني الكريم بألفاظ(اليم والبحر والأنهار)، وقد جاء في سياقات موحية بأنه آية دالة على قدرة الله المطلقة، وأنه نعمة إلهية منه–عز وجل– على مصر وأهلها، كما جاء ذكر النيل تارة مفخرة لمصر، ثم جاء طورًا مَنْجًى للنبي والمؤمنين، ثم جاء مهلكًا للكافرين، ودمارًا للضالين المضلين. وهذا ما جعل الباحث يختصه بمبحث خاص..
- تنوعت الخطابات القرآنية الكريمة عن مصرنا مكانًا سردًا أو إنشاء أو حوارًا أو وعظًا أو تهديدًا أو إغراءً، وفي حقول دلالية متنوعة عقديًّا، واقتصاديًّا، وسياسيًّا، وحضاريًّا، واجتماعيًّا، وعسكريًّا وأمنيًّا!

إن هذا الحضور المكاني لمصرنا في الخطاب القرآني المجيد ليعضد (القوة الناعمةSoft power) لها، ويزيد من قدرتنا على الجذب والضم؛ ويجعلها حاضرة حضورًا بارزًا عبر العصور التاريخية التي مرت وتمرُّ بها، خلال ما يزيد عن سبعة آلاف عام قبل الميلاد، ومن ثم كانت ذات أقدم حضارة في التاريخ الإنساني. وهذه القوة الناعمة كانت –ولا تزال وستبقى على مر العصور، إن شاء الله تعالى– الحافز الذى يشحذ الهمم المصرية، ويدفعها لتكون منبع التنوير والثقافة والقومية، ومشعل المصابيح التي طالما أنارت للعالم الطريق منذ القدم!.

سقَى اللهُ مصرَ الصالحينَ بغَيثِه ∴ ومكَّن في الأوطانِ كلَّ منيبِ

وأعطى ذوي الإخلاصِ كلَّ مُناهمُ ∴ وسلَّحنا دومًا بكلِّ طبيبِ

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف:

ثانياً: أبرز المصادر والمراجع:

- **أساس البلاغة، الزمخشري** (ت٥٣٧هـ)، طبع الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م..
- **الاشتقاق: لابن دريد** (ت ٣٢١هـ)- تحقيق أ. عبد السلام هارون (ت ١٩٨٨م)- ط الخانجي مصر سنة ١٩٥٨م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي** (١٢٠٥هـ) المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ، وطبع حكومة الكويت، سنة ١٤١٤هـ.
- **البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان** (ت٧٤٥هـ)، تح/ صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت سنة ١٤٢٠هـ.
- **تحليل الخطاب الروائي:** الزمن السرد التبئير، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي ببيروت سنة ١٩٨٩م..
- **تحليل لغة الخبر السياسي في الخطاب الإعلامي المعاصر**، رامي عزمي يونس، دار المعتز بالأردن سنة ٢٠١٢م.
- **التسهيل لعلوم التنزيل** لابن جزي(ت٧٤١هـ)، ،تح عبدالله الخالدي، دار الأرقم ببيروت ١٤١٦هـ.
- **تفسير الثعلبي(ت٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تح أبي محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، سنة ٢٠٠٢م.
- **تفسير الشيخ المراغي**، طبع الحلبي سنة ١٩٤٦م.
- **تفسير الطبري(ت٣٢١هـ): جامع البيان في تأويل القرآن**، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة سنة ٢٠٠٠م.
- **تفسير القرآن** للسمعاني(ت٤٨٩هـ)، تح: ياسر إبراهيم غنيم، دار الوطن بالرياض ١٩٩٧م.

- **تفسير القرآن من الجامع** لابن وهب (ت١٩٧هـ)، تح:ميكلوش موراني، دار الغرب سنة ٢٠٠٣م.
- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير(ت٧٧٤هـ) ، تح:محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية سنة ١٤١٩هـ.
- **التفسير القرآني للقرآن**، للشيخ عبدالكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي بالقاهرة
- **تفسير القرطبي(ت٦٧١هـ)الجامع لأحكام القرآن**، تح/أحمد البردوني، دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٤م.
- **تفسير الماتريدي(ت٣٣٣هـ)**، تح/د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠٠٥م.
- **تفسير مقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ)**، تح/د/عبدالله شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت سنة ١٤٢٣هـ.
- **التفسير الواضح**، د/محمد محمود حجازي، نشر: دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٣هـ.
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** للدكتور محمد سيد طنطاوي (ت٢٠١٠م)، دار نهضة مصر، سنة١٩٩٨م.
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: للسيوطي** (ت ٩١١هـ)– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– طبع عيسى الحلبي سنة ١٩٦٧م.
- **حضارة مصر أرض الكنانة**، د. سليمان حزين، طبع دار الشروق سنة١٩٩١م.
- **الخطاب الدعائي الأمريكي إزاء الشرق الأوسط: دراسة تحليلية**، د/ ولاء محمد علي حسين الربيعي، ص ٣٣، طبع سنة ٢٠١٦م..
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** للسيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر ببيروت لبنان.

- **دفع الإصر عن كلام أهل مصر: لجمال الدين يوسف المغربي** (ت١٠١٩م)، تح: عبدالمحسن محمود جودة، طبع مجمع اللغة العربية سنة ٢٠١٤م.
- **ديوان سلامة بن جندل**، المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٠م.
- **الرسائل الأدبية للجاحظ(ت٢٥٥هـ)**، قدّم لها وبوّبها وشرحها الدّكتور علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال بيروت.
- **رسائل الجاحظ(ت٢٥٥هـ)**، تح: عبدالسلام هارون، طبع الخانجي، ١٩٦٤م.
- **الرسائل السياسية** للجاحظ(ت٢٥٥هـ)، طبع مكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- **الروض المعطار في خبر الأقطار** للحميري(ت٩٠٠) طبع بيروت سنة ١٩٨٠م.
- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**: لشمس الدين الشربيني ت٩٧٧هـ، طبع بولاق سنة ١٢٨٥هـ.
- **سيميائية الخطاب السردي العماني**، د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة، المكتب العربي للمعارف، سنة ٢٠١٨م.
- **صور من الخطاب الديني المعاصر**، أحمد زايد، القاهرة: دار العين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- **العين: للخليل بن أحمد** (ت١٧٠هـ)، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، طبع مؤسسة الأعلمي سنة ١٩٨٨م.
- **غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة**، لابن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي (ت: ٥٧٨هـ)، تح/ د. عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **فتوح مصر وأخبارها، وفتح إفريقية والمغرب والأندلس** لابن عبدالحكم (ت٢٥٧هـ)، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية ببيروت، د.ت.

- **فضائل مصر وأخبارها وخواصها: لابن زولاق** (ت٣٨٧هـ)، تح علي محمد عمر، طبع الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م.
- **القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين**، محمود حامد عثمان، طبع الرياض، سنة ٢٠٠٢م.
- **القاموس المحيط، للفيروزآبادى** (ت ٨١٧هـ)،تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبع سنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
- **الكامل في التاريخ: لعز الدين ابن الأثير** (ت ٦٣٠هـ)– دار صادر بيروت سنة ١٩٨٢م.
- **كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي** (ت نحو١١٥٨هـ)، طبع دار الكتب العلمية ببيروت.
- **الكليات:** لأبي البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، طبع دار الرسالة ببيروت سنة ١٩٩٨م.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل:** لعلاء الدين المعروف بالخازن(ت٧٤١هـ) تح أ. محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٥هـ
- **لسان العرب: لابن منظور** (ت ٧١١هـ)– ط درا المعارف بمصر– تح: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، د.ت.
- **لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال**، د/محمود عكاشة، طبع دار النشر للجامعات سنة ٢٠٠٥م..
- **مبادئ الطقس والمناخ**، د/قصي السامرائي، طبع سنة ٢٠٠٧م.
- **متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني**، د. محمد الششتاوي، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لابن عطية(ت٥٤٢هـ)، تح: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٢هـ.

- **مصر في القرآن والسنة:** د. عبدالعزيز الشناوي، مكتبة الإيمان بالمنصورة
- **مصر في القرآن والسنة:** د. أحمد عبدالعزيز يوسف، دار الشروق سنة ١٩٩٩م.
- **مصر في القرآن دراسة في أسرار البيان،** د. عبدالله سرحان، مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ٢٠٢١م.
- **معرفة الصحابة لابن منده** (ت٣٩٥هـ)، تح: عامر حسن صبري، طبع جامعة الإمارات سنة ٢٠٠٥م.
- **معجم ألفاظ القرآن الكريم،** إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة١٩٨٩م.
- **معجم البلدان لياقوت الحموي** (ت ٦٢٦هـ)- دار إحياء التراث العربي (بيروت) د.ت.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، أ/محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب المصرية، سنة ١٩٥٨م.
- **معجم مقاييس اللغة،** لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تح الأستاذ: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- **مقدمة في نظرية الخطاب ديان ماكدونيل،** ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، سنة ٢٠٠١م.
- **من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم،** د. محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة سنة ٢٠٢١م.
- **من رسائل الجاحظ** (ت ٢٥٥هـ) الحنين إلى الأوطان، الأوطان والبلدان، تح: أ.عبد السلام هارون- ط الهيئة العامة سنة ١٩٩٨م.
- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ذكر طرف من فضائل مصر،** للمقريزي (ت٨٤٥هـ)، تح: أ.خليل المنصور، طبع دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان.

- **نهر النيل في المكتبة العربية:** د. محمد حمدي المناوي، الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦م..
- **النيل ومصر القديمة: د. صالح بدير**، المكتبة الأكاديمية سنة ٢٠٠٦م.

ثالثًا: الدوريات والمواقع الإلكترونية

- **(عظمة نهر النيل في القرآن الكريم)**، مقال للدكتور: صبري فوزي أبو حسين. في مجلة الأزهر، عدد شهر المُحَرَّم ١٤٤١هـ=سبتمبر، ٢٠٢٠م.
- **(في الخطاب وتحليل الخطاب)** لعبدالرحيم الخلادي في جريدة الحوار المتمدن ٢٠١٠/٤/١٨م، على الرابط:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp

- **(مصر في القرآن)**، د/محسن الشاذلي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، العدد السابع والعشرون، المجلد الثالث، سنة ٢٠١١م.
- **(مصطلحات قلقة بين التأصيل والتوصيل)** للدكتور عبدالإله الصائغ، مقال منشور في صحيفة المثقف، على الرابط:

ttp://www.almothaqaf.com/readings

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
ملخص البحث :.....	٦١٢-٦١٣
المقدمة :.....	٦١٤
التمهيد: منهج تحليل الخطاب القرآني :.....	٦١٨
المبحث الأول: مصر في الشعر الجاهلي والمعجم العربي	٦٢٣-٦٣٤
أولاً: لفظة مصر فى الشعر الجاهلي :.....	٦٢٣
ثانيًا: مصر فى المعجم العربي :.....	٦٢٧
المبحث الثاني: مصر مكانًا عامًّا في الخطاب القرآني	٦٣٥-٦٤٧
مصر الأرض اليوسيفية فى الخطاب القرآني :.....	٦٤٢
مصر الأرض الفرعونية فى الخطاب القرآني :.....	٦٤٤
المبحث الثالث: مصر مكانًا جزئيًّا في الخطاب القرآني	٦٤٨-٦٦٨
أولاً: أماكن مصر جزئية حياتية :.....	٦٤٨
ثانيًا: أماكن مصر جزئية دينية :.....	٦٦٢
المبحث الرابع: مصر نِيلاً في الخطاب القرآني	٦٦٩-٦٨٠
مصر بحرا فى الخطاب القرآني :.....	٦٧٣
مجمع البحرين فى الخطاب القرآني :.....	٦٧٦
المبحث الخامس: أنماط الخطاب القرآني عن المكان المصري	٦٨١-٦٦٩
أولاً: الخطاب القرآني باعتبار القائل :.....	٦٨١
ثانيًا: الخطاب القرآني باعتبار الأسلوب :.....	٦٨٦
ثالثاً: الخطاب القرآني باعتبار الحكم :.....	٦٩٨
الخاتمة :.....	٧٠٠-٧٠٢
فهرس المصادر والمراجع :.....	٧٠٣-٧٠٨
فهرس الموضوعات :.....	٧٠٩